وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعك الجزائر 02

كليك العلوم الإنسانيك و العلوم الإجتماعية

قسم الفلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة

تخصص: المنطق وفلسفة العلوم

بعنوان:

التقنيات الطبية وقيمتها الأخلاقية في فلسفة يورغن هابرماس

من إعداد الطالب:

عياد زدام محمد

إشراف الأستاذ الدكتور:

الأخضر شريط

لجنة المناقشة

د.عبد العزيز بن يوسف	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة الجزائر 2
د.الأخضر شريط	أستاذ التعليم العالي	مشرفا	جتمعة الجزائر2
د.محمد يحياوي	أستاد التعليم العالي	مناقشا	جامعة الجزائر2

الموسم الجامعي 2014-2015م

إهـــــداء

إلى الوالدين الكريمين حبا ووفاء....

وإلى زوجتي حبا وأملا

كلمة شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي

ألهمني الصبر و التوفيق لانجاز هذا العمل .

أتقدم بخالص الشكر إلى من منحني ثقته الكاملة في إعداد هذه الرسالة لأتصرف فيها بملء إرادتي ،حاضيا بلب توجيهاته الأستاذ المشرف

الدكتور: الأخضر شريط

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع أساتذة قسم الفلسفة وبالخصوص أساتذة ما بعد التدرج.

فشكراً

.محمد.

مـلـ خص المذكرة

هناك عدة حركات كبرى حددت معالم فترة الانتقال ،التي امتدت من بدء تراجع العصور الوسطى حتى القفزة الكبرى إلى الأمام في القرن السابع عشر، من بينها إحياء الدراسات التجريبية، و هو الإحياء التي استهلته حركة النقد عند **أوكام G.Occam** (1285 – 1349م) ، وإعادة اكتشاف نظام مركزية الشمس على يد **كوبر نيكوس N.Copernic** (1473–1543)، وأدى ذلك إلى توجيه العقل اتجاها جديدا من عالم الغيب إلى عالم الطبيعة المحسوسة الواقعية، رافعا الوصاية على الإنسان ، ليتخذ العصر الجديد أساسا جديدا للبحث هو التجربة والملاحظة، وقد كان كل من ديكارت **وفرانسيس بيكون** F.Bacon (1561 – 1606)أبرز من دعا إلى ذلك، لتكون بداية لعصر الأنوار، الذي اتسم بهيمنة النزعة الوضعية المادية على تفكير الإنسان، حتى أصبح ينظر للوجود وما فيه من موجودات بما في ذلك الإنسان على أنها أشياء قابلة للحساب والتجريب ، مثلما عبر عن ذلك **كلود برنار C.Bernard**(1835 – 1911م) مؤسس الطب التجريبي ،الذي جعل الوضعية أساسا لبحوثه ،مخضعا الكائن الحي للآلية ،وهذا بعد سلسلة تجارب أجراها على مرضى السكري،وفي نفس الاتجاه سارت بحوث **داروين Darwin**(1809–1883) في التطور العضوي،ونظرية "الانتخاب الطبيعي" لصديقه **الفرد والاس** ،اراء حددت مسارا لتاريخ الحياة يعوض فكرة الاله بفكرة تطور حتمي استقرائي.

لقد أدت القفزات العلمية إلى تغير النظرة إلى الإنسان ، من ذلك الكائن المقدس إلى مجرد ظاهرة ، مثله مثل باقي الظواهر الطبيعية الأخرى ، بعد القلب الجغرافي الذي أحدثه **كوبرنيكوس**، والقلب الأنثروبولوجي الداروينى، وأما القلب الثالث الذي نحن بصدده فهو انتهاك التقنية الحيوية الحدود بين الطبيعة الداخلية والخارجية للإنسان ،وفي هذا المجال يبرز **يورغين هابرماس J.Habermas**(1929...) الذي ومن خلال فلسفته التواصلية النقدية حاول إعادة الاعتبار للنقاش الفلسفي وللفلسفة، مبرزا أن أهميتها اليوم أكثر من أي وقت مضى، لأنها تهتم بالمستقبل فالفلسفة التواصلية في دراستها لأسباب الوجود الإنساني تخضع الأدوات والتقنيات والمخترعات ، كما التصورات والأفكار والمواقف لسلطة العقل النقدية ، ومن ثم إن جديتها تكمن في نقد التصورات المعروضة ، سواء كان النقد موجها إلى النزعة الثقافية الأنتروبولوجية باسم الأصالة والحفاظ على القيم الموروثة ، أو نقد القيم الموروثة عندما تتحول هذه الأخيرة وبالرغم منها إلى سلطة تقي النظام الإجتماعي و السياسي معول النقد والإصلاح . النزعة الوضعية

وبالتالي أصبح موضوعا للتجريب العلمي.

بعد القلب الجغرافي الذي أحدثه **كوبرنيكوس**، والقلب الأنثروبولوجي الداروينى، وأما القلب الثالث الذي نحن بصدده فهو انتهاك التقنية الحيوية الحدود بين الطبيعة الداخلية والخارجية للإنسان ،وفي هذا المجال يبرز **يورغين هابرماس J.Habermas**(1929...) الذي ومن خلال فلسفته التواصلية النقدية حاول إعادة

الاعتبار للنقاش الفلسفي وللفلسفة، مبرزا أن أهميتها اليوم أكثر من أي وقت مضى، لأنها تهتم بالمستقبل فالفلسفة التواصلية في دراستها لأسباب الوجود الإنساني تخضع الأدوات والتقنيات والمخترعات ، كما التصورات والأفكار والمواقف لسلطة العقل النقدية ، ومن ثم إن جديتها تكمن في نقد التصورات المعروضة ، سواء كان النقد موجها إلى النزعة الثقافية الأنتروبولوجية باسم الأصالة والحفاظ على القيم الموروثة ، أو نقد القيم الموروثة عندما تتحول هذه الأخيرة وبالرغم منها إلى سلطة تقي النظام الإجتماعي و السياسي معول النقد والإصلاح .

وبايجاز ، هل التحولات الطبية والعلمية في مجال الهندسة الوراثية والبيولوجيا الجزيئية تعني أننا مقبلون لا محالة على تغيير نوعي في طبيعة الإنسان لاحقا ؟ ثم هل يمكن أن يكون تحسين النسل وفق أسس وقانون السوق وقاعدة العرض والطلب مستقبلا نذير شؤم أو فاتحة أمل ؟ بمعنى هل يمكن للعلوم الدقيقة أن تغير من طبيعة الإنسان جوهريا بعدما فشلت العلوم الإنسانية في ذلك ؟ و هل من خوف فعلي على مصير الإنسانية إذا استطاع الإنسان في الألفية الثالثة أن يلغي سوار الحدود التقليدية بين العضوية الحية وغير الحية ؟ بالإضافة ، هل من شأن الجمع بين العلوم الجديدة كالنانوية والهندسة الوراثية، اختراق أسرار المادة وإعادة الدمج بين تراكيبها الذرية في مستوى لا يمكن ملاحظته بالعين المجردة ولا معاينته بالوسائل البصرية والمجهرية ؟ فضلا عن ذلك، ما هي تداعيات إدماج عناصر إلكترونية دقيقة في عضويته الحية ، أو ما سيؤول

إليه حال الإنسان بعد تطوير قدراته البدنية والذهنية من جراء التماس مع آلات دقيقة ومتطورة ؟ كما يطرح السؤال إلى حد يمكن المزج بينهما؟

ومن المتوقع أن يسيطر على الرأي العام في الربع الأول من هذا القرن نقاشات حادة حول طبيعة ونوع الإدماج المرغوب فيه بين الهندسة الوراثية والمعلوماتية ، تتغير الطبيعة ، وما هي ملامح الوضع الجديد بعد التحكم في تقنية المزج بين جزيء الدانة (ADN) والرقاقات الإلكترونية للحاسوب لسان هذا العصر غير أن السؤال الذي يطرحه الجمع بين الهندسة الوراثية والمعلوماتية : ما هو السبيل القويم إلى الجمع بين ما هو ممكن في المجال لبيولوجي وما هو مقبول في المجال الأخلاقي ?, كيف سيوظف **هابرماس** هذا النقاش الفلسفي في إثبات نظرية أخلاقية خاصة بالطب؟ وما هو تقييمه للنقاش حول فهم الجنس البشري لأخلاقياته؟ أي ما هي الحلول المقترحة للمسائل المتعلقة بفرضيات الحكم الأخلاقي و الفعل الأخلاقي في مجال الطب؟

وعلى ضوء ما سبق تبرز الإشكالية الفلسفية لموضوع "التقنيات الطبية وقيمتها الاخلاقية عند **يورغن هابرماس** " والتي صغتها كالتالي:

ماهو موقف **يورغن هابرماس** من التقنيات الطبية المعاصرة ؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية وجملة التساؤلات المطروحة سلفا ، فضلنا تقسيم عملنا إلى ثلاثة فصول ، لنكون الخطة كالتالي :

تطرقت في **الفصل الأول** الذي قسمته إلى مبحثين : التقنيات و الاخلاق الطبية عبر كل من الحضارتين اليونانية و الاسلامية ،دون أن أغفل دور الحضارة البابلية ومختلف الرؤى الطبية في زمننا ،حاولت ان ابرز فيه بعض اهم وجهات النظر المعاصرة حول الموضوع.

وفي **الفصل الثاني** حاولت اظهار اهم جوانب التقنيات الطبية الجديدة،التي ذكرها هابرماس في كتابه **مستقبل الطبيعة الانسانية** ،وقد قسمته إلى ثلاث مبلحث :تقنيات الهندسة الوراثية الجديدة،من بينها التخصيب الاصطناعي ،و عملية الزرع بالأنبوب،ومبحث ثاني اتسم بالاستنساخ البشري بين المؤيدين المعارضين .أما المبحث الثالث فقد تناولت فيه مغبة الموافقة الإيجابية عن كل ما استحدثته مخابر الطب و الهندسة الجينية ، وفضلت تسمية هذا المبحث ب خطر المنحدر الزلق .

وأما **الفصل الثالث** الذي عنونته ب أثر التقنيات الطبية على الأخلاق من وجهة نظر هابرماس،وقد قسمته الى ثلاث مباحث حاولت من خلاله إبراز الحصون الأخلاقية التي من شأنها أن تمنع مختلف الممارسات الطبية غير اللائقة من خلال تبيان تفعيل دور الفلسفة في تخليق المجتمع ،وقد قسمته الى ثلاث مباحث : أولها، نحو تخليق التقنيات الطبية والبيولوجية المعاصرة ، والثاني أبرزت فيه ضرورة التنشأة الإجتماعية في بناء مستقبل سليم ، وكان عنوانه تكييف المجتع بتكييف العقل .والثالث ، ناقشت فيه مسألة

العمق المتطلب في زمننا ، مبرزا فيه بعض الخواص للذات الإنسانية ، من حدوس وشاعرية وخبرات أخرى وقد عنونته ب هابرماس نحو إفتتاح المسائل الهيدغرية .

والمنهج الذي إرتأيت أنه مناسب لهذا الموضوع هو المنهج التحليلي والمقارن في فحص ورصد مضامين الموضوع وأبعاده في مصادر المؤلف **يورغن هابرماس**، كما وظفت المنهج التاريخي في تتبع تاريخ الطب وبأخلاقياته ذلك أن الدراسة بقدر ما تكون تاريخية تكون نقدية مدققة في المفاهيم.

وقد حفزني على إختيار هذا الموضوع وطرقه أسباب خاصة ، وأخرى موضوعية عامة.

إن الأسباب الخاصة التي دفعتني إلى طرق هذا الموضوع بحماس، فضول معرفي شدني لطرق الموضوع.وميولنا الشخصي نحو الدراسات الإبستمولوجية كدراسة فلسفية ، علمية معاصرة ، وشعورنا بأهمية هذا المجال المعرفي على المستويين الفلسفي والعلمي كموضوع يتطلب الدراسة والتعمق .

إن الملاحظ للفلسفة المعاصرة يستنتج تأثرها العميق بالثورات العلمية المعاصرو وعليه فإن الدارس لفلسفة العلوم المعاصرة لا يمكنه أن يمر ولا يصطدم بالنقاشات الحالية وأعمقها تلك المتعلقة بالطب والهندسة الوراثية ، وهي أكثر من غيرها مجالات خصبة للدراسة .

. أما الأسباب والدواعي الموضوعية فعلى كثرتها أذكر منها التالية: محاولة الاسهام في بعث الجانب الروحي الأخلاقي في كل ما تم إنتاجه في مخابر العلوم التقنية خاصة المتعلقة بمصير الإنسان. وبالدرجة الأولى محاولة فهم طريقة تعامل الفلسفة مع أهم مبحث علمي وأقربه إلى الإنسان، وهو الطب. ثم أنه قلما نعثر على مبحث التقنيات الطبية عند هابرماس في المكتبات، باستثناء كتاب يورغن هابرماس العقلانية التواصلية في ظل الرهان الإثيقي لمجموعة من الباحثين وهو أمر يدعوا إلى بذل كل الجهود من أجل مشاركة العالم في كل البحوث، والمساهمة ولو بقليل في إثرائها ، ونحن نعلم أننا سوف ندرك هذه الممارسات عاجلا أم آجلا ، أصالة وجدة الأبحاث والدراسات في مجال فلسفة العلوم عامة، والبيوإيتيقا بصورة خاصة، هذه الأبحاث التي طرقها فلاسفة عدة.

وقد واجهت الباحث صعوبات فكرية تعلقت بوسائل البحث العلمي النظري متمثلة في قلة المراجع التي ركزت إهتمامها بدراسة قيمة التقنيات الطبية عند يورغن هابرماس ، هذا من جهة ومن جهة أخرى صعوبات منهجية بسبب تداخل وتشابك الموضوع الذي يجمع بين أبعاد متعددة ، لغوية ، إجتماعية تواصلية ، تأملية ذاتية وتحليل نفسانية ، إبيستمولوجية .

الفصل الأول: التقنيات والأخلاق الطبية ومختلف الرؤى حولها

أولا: التقنيات و الاخلاق الطبية في الحضارات القديمة

أ- التقنيات* و الأخلاق الطبية في الحضارة اليونانية :

يعتبر الطب أقدم الأنشطة الإنسانية لأنه يرتبط بأقدم ظاهرة يتعرض لها الإنسان و هي المرض La maladie ، و هذا الأخير يتطلب العلاج الذي لم يكن في نظر القدامى إلا مظهر من مظاهر العقيدة الدينية، كما يظهر ذلك جليا في حالة المؤسس الأسطوري للطب المصري، الطبيب و المهندس إمحوتب Im hotep في خدمة الفرعون جوزر Djôser حوالي 2800- 2700 ق.م ، و الذي أله فيما بعد ليعرف "إله الطب" ([1])،

و كانت هذه الحالة المذكورة أشد أوجه التقارب بين الطب و العقيدة الدينية، بل إن الطب ليس إلا مظهرا من مظاهر العقيدة الدينية ، و في الوقت نفسه كان ممزوجا بالسحر و الشعوذة ، و لذا كان الطب ميزة لمن كانت له القدرة الخارقة على الدخول في علاقة مع القوى الماورائية ، و قد بقيت هذه المظاهر إلى اليوم في بعض التجمعات

([1]) David sénéchal ,Histoire des sciences , université de Sherbrooke , faculté des sciences,décembre 2004, p08.

*التقنية في اللغة الفرنسية Technique ، و Techné في اللغة اليونانية ، نقول أتقن عمله أحكمه ، و يطلق التقني من جهة ما هو صفة على كيفية فنية ، أو علمية أو صناعية تمكن من إتقان العمل و إحكامه ، و من هذا يكون التقني مرادف للعملي ، و هو صفة للمهارة الحاصلة بمزاولة العمل ، و بهذا المعنى يختلف عن العلمي ، لأن العلمي صفة للبحث النظري المجرد ، على حين أن التقني و العلمي علاقة وثيقة ، لأن الطرق التقنية تهيئ أسباب تكون العلم ، و العلم من جهته و إن كانت غايته طلب الحقيقة لذاتها ، إلا أنه يؤدي إلى الكشف عن طرق فنية جديدة و تطبيقات عملية جديدة .
و التقنيات بالجمع Techniques اسم للطرق العملية المحددة التي يزاولها الأفراد للحصول على نتائج معينة ، و منها التقنيات العلمية ، و هي اسم للطرق المس تنبطة من المعرفة العلمية ، و تسمى النتائج الحاصلة من تطبيقات هذه الطرق بتطبيقات العلوم ، و الفرق بينها و بين التقنيات التي يتوقف حصولها على المزاولة و الممارسة هو أنها مسبوقة بالوعي و العلم ، و مصحوبة بالتنظيم و التحليل ، على حين أن الثانية خالية من ذلك (اندريه لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ،ترجمة خليل احمد خليل،،منشورات عويدات،بيروت،ط2،2001، ص1428)

البشرية البدائية ، لكن بوادر التفكير العلمي المنظم كان مع الإغريق و المسلمين أين كان للطب منزلة مهمة بين بقية الصناعات.

و كون المرض خطرا على حياة الإنسان أدّى ذلك إلى إعطاء الطب مكانة بارزة في مجال التفكير الفلسفي خاصة منه الأخلاقي سواء من خلال المرض أو التعامل مع المريض كإنسان ، ذلك أن الإنسان و الحياة و الموت من الموضوعات التي اشتغل بها الفلاسفة منذ نشأة التفكير الفلسفي إلى اليوم و هذا يبرز من دون شك ذلك الارتباط الوثيق بين الطب و الفلسفة و ارتباطهما بالأخلاق ، خاصة إذا علمنا بأن الأخلاق هي القسم الأساسي في الفلسفة و هي مرادفة لها ببعض المعاني([2]).

إن ما يبرز هذا الارتباط هو تصنيف الفلاسفة للعلوم بما في ذلك الطب، فلو تأملنا تصنيف أرسطو * (المعلم الأول) للعلوم ابتداء من تعريفه للفلسفة التي تعني بالنسبة له البحث عن مبادئ الأشياء و عللها الأولى مكانة الطب بين العلوم، يقول في تعريفه للفلسفة

([1]) أحمد عبد الحليم عطية ، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1988 ، ص 9 .

*أرسطو طاليس 384-322 ق.م ، فيلسوف يوناني

الأولى (الميتافيزيقية) "إنها العلم بالأسباب القصوى ، أي علم الموجود بما هو موجود"([1]) ، و من هنا كان للفلسفة عدة أقسام تتفق مع أقسام الوجود من حيث هو وجود محسوس متحرك ، و معه الطب ، و في دراسات أخرى نجد تصنيف العلوم عند أرسطو الذي زعم أن عقولنا تطلب العلم للإطلاع أو الإيداع أو الإنتفاع ، منقسمة بحسب هذه الغايات الثلاث إلى علوم نظرية (الرياضيات و الطبيعيات) ، و علوم شعرية (البلاغة و الشعر و الجدل) و علوم عملية (الأخلاق و الاقتصاد و السياسة). في الحضارة البابلية (ألفي سنة قبل الميلاد أو أكثر بقليل) نشأت مهنة منتظمة للأطباء ذات أجور وعقوبات يحددها القانون، فكان المريض الذي يستدعي طبيبا لزيارته يعرف مقدما كم من المال يجب عليه أن يؤديه نظير هذا العلاج أو ذاك، و نظير هذه الجراحة أو تلك، و إذا كان هذا المريض من الطبقات الفقيرة نقص الأجر لكي يتناسب مع فقره ، و إذا أخطأ الطبيب أو أساء كان عليه أن يؤدي للمريض تعويضا، و أعظم وثيقة تتعلق بالطبّ البابلي هي قانون حمورابي*، إلا أن هذا القانون لا يتحدث عن الأطباء الباطنيين، بل عن الجراحين فقط، لأن الطبيب

([1]) جورج سارتون ، تاريخ العلم ، ترجمة, جورج حداد و آخرون ، دار المعارف ،ج 1، مصر ، 1996 ، ص ص 199-200.

*حمورابي : 1686 – 1728 ق.م : الملك السادس من ملوك الدولة الأشورية ، و هي بلاد نشأت شمالا ما بين النهرين.وتجع مكانة حمورابي قبل كل شيء في انه وضع مجموعة من القوانين حضيت بشهرة كبيرة في شتى ربوع ارض الرافدين.وهي تصنيف للقوانين التي كانت قائمة في ذلك الوقت,تشمل قوانين السومريين والتقاليد القضائية للشعوب السامية,والمعروف عن حمورابي اهتمامه بكامل ما يجري في مملكته بما في ذلك الصحة .

الباطني كان شخصا مقدسا، أما الجراح فكان صاحب حرفة ، و من بعض المواد من هذا القانون المادة (21) ، إذ أجرى جراح عملية كبيرة لنبيل من النبلاء بمبضع من البرونز و أنقد حياة النبيل ، أو إذا فتح محجر عين نبيل من النبلاء و تسبب عن ذلك في تلف العين فتقطع يد الجراح، و يمتلئ الطب البابلي.بالتعاويذ ، لكونه تيوقراطيا théocratique.

فالآلهة هي خالقة الخير و الشر، و ما الأمراض إلا دلالة على سخطها الذي تقصر عنه الأفهام. و الطبيب بهذا المعنى كاهن مع أنه يبدو منفصلا عنه في عمله و الأرجح أنهما كانا يعملان معا: الطبيب الكاهن ، و الكاهن الطبيب ([1]).

لاشك أن من أهم الحضارات التي انتظم فيها التفكير بشكل واضح ، الحضارة اليونانية ، ذلك أن اهتمام الفلاسفة اليونانيين بالبحث في الطبيعة ، و في المبادئ التي يمكن من خلالها فهم و تفسير الظواهر الطبيعية ،جعل منهم فلاسفة و علماء في الوقت نفسه ، و لعل هذا ما يبرز قول البعض منهم بأن أصل الكون هو الماء، لأن كل شيء يرتد في الأخير إلى الماء ، و قول بعضهم بأن أصله هو التراب لأن كل شيء يتحول في النهاية إلى تراب ، و قول آخرين بالهواء أو النار كأصل الكون . و هي كلها محاولات رد شتات الظواهر الطبيعية إلى المبدأ الواحد ، و في النهاية يبدوا أن الأمر استقر على اعتبار العناصر الأربعة (الماء ، التراب ، الهواء ، النار) كلها مكونات لجميع الأجسام

([1]) زيغريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة : فاروق بيضون ، كمال دسوقي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، د.ذ. الطبعة ، د.ذ.سنة ، ص 259 .

على الأرض ، بما في ذلك جسم الإنسان، و لقد تبنت هذه الفكرة المدرسة الطبية التي تنسب إلى أبقراط"Hypocrate " و هي من أبرز المدارس التي نضج فيها الطب في العهد اليوناني ،و تسمى مدرسة كوس Cos، أشهر مدارس الطب في اليونان .

عنيت هذه المدرسة بأمراض الطب العام و ما يسمى اليوم (الباثولوجيا العامة) و مدرسة كنيدوس Cnidos عنيت بأمراض خاصة ،و ما يسمى اليوم (الباثولوجيا الخاصة) ، وكان أصحابها أكثر إهتماما بشؤون التوليد، و أمراض النساء ، تقع كلا المدرستين في مقاطعة واحدة تسمى كاريا Caria . من بين الفلاسفة الذين برعوا في مجال الطب و العلاج الفيلسوف و الطبيب اليوناني أبيقراط ، و يرجح أن أبيقراط قد ولد بجزيرة كوس Cos سنة 460 ق .م ، و لذا يعرف بأبيقراط الكوسي ، توفي سنة 377 ق.م بمدينة لاريسا Larissa.

تنسب لأبقراط كثير من البحوث مع أن الإعتقاد السائد هو أن جل الكتابات نسبت إليه فقط لأن كوس كانت تمثل المدرسة المشهورة للطب، من أشهر مؤلفاته : "فن الهواء و الماء و المكان " ، و كتاب "دراسة في الوصف و التنبؤ" ، و هو صاحب الطب الوقائي من خلال مؤلفه "في نظام التغذية" بحيث كان يعتمد في المعالجة على نظام دقيق في التغذية و الحمية ، و على مزاولة الرياضة الجسدية أكثر من اعتماده على الأدوية و العقاقير ، و له مؤلف آخر "المرض المقدس" يبيّن فيه كم كان علم وظائف الأعضاء غير معروف من قبل .هذا النتاج الكبير يطلق عليه المؤرخون اسم التراث الأبقراطي ، غير

أن وجهة نظر أخرى تفيد بأنه ليس ثمة من إبتكارات جديدة جعلت أبقراط يتبوّأ هذه المكانة بين أطباء عصره، و لا حقائق جديدة هي التي سمت به إلى القمّة ، و أما الكتب الصادرة في الإسكندرية و التي عرفت باسم "مخطوطات أبقراط" فقد كانت كناية عن جمع معارف عصره، و سالفيه ، و إنما العامل المهم الذي سما به كان الموقف الجديد الذي بشر به و دعا إليه ، أي موقف الطبيب من المريض و من الأمراض، و هنا حمل أبقراط حملة شعواء على كل من جعل من فن الطب صناعة هدفها الربح المادي و أساسها الدّجل و أسلوبها المخادعة الكاذبة ، و الادعاء الباطل ، فأقام في وجه هؤلاء مثالية جديدة للطبيب الحر اللاكهنوتي ، و حدّد رسالة الطبيب و واجبه اللذين أصبحا فيما بعد قاموس أطباء كل الشعوب [1]. يقوم مذهب أبقراط على نظرية الفيزيس Physis ، من أهم المفاهيم في الفلسفة اليونانية ، و قد ترجمه الرومان إلى " Nature"، ، ينتج من هذا المفهوم اتجاهان إحداهما فلسفي خالص ، و الآخر أخلاقي و في هذه الحالة يعني فيزيس الطبيعة العميقة (الداخلية) للشيء، أي يؤسسه و يبقى عليـــه ، ما يشكـــل جوهره ، و من جهة أخرى الفيزيس ، تمثل بالنسبة لكل موجود حدوده ، ما يمكن أن يكون عليه، حدود لا يمكن تجاوزها دون إحداث خلل([1]).

و في زمن لاحق على أبقراط، أنشأ أرسطو مدرسته (اللوقيوم) ، حين بلوغه سن الثالثة و الخمسين ، لم تكن المدرسة صورة طبق الأصل عن المدرسة التي تركها أفلاطون وراءه، حيث إهتمت أكاديمية أفلاطون فوق كل شيء بالرياضيات و الفلسفة

([1])encyclopédie universalis , v 6, Copyright,France S.A13 -06-2012

السياسية التأملية، أما مدرسة أرسطو فقد مالت إلى تدريس "علم الأحياء و العلوم الطبيعية" ، و إذا ما جاز لنا أن نصدّق ما ذكره لنا بليني ، فإن الإسكندر أمر رجال صيده و بساتنه و صيادي أسماكه بأن يمدوا أرسطو بكل المواد الحيوانية و النباتية التي يرغب بها، و يخبرنا كتاب قدامي آخرون أنه كان تحت تصرفه في وقت واحد ألف رجل انتشروا في أنحاء آسيا و اليونان يجمعون له النماذج و العينات الحيوانية و النباتية من كل أرض ، و قد تمكن بهذه الثروة المادية من إنشاء أول حديقة حيوانية عظيمة شاهدها العالم ، و من العسير أن نبالغ في تأثير هذه المجموعة على علمه و فلسفته([1]).

لقد رفض أرسطو نظرية أمبادوقليس ،الذي يقول ببقاء الأصلح من الأعضاء و الأجسام، و رأى ألكس غوراس بأن الإنسان أصبح ذكيا باستخدام يديه في الأعمال اليدوية أكثر من الحركة ، أما أرسطو فيعتقد عكس ذلك ، و هو أن الإنسان قد استخدم يديه لأنه أصبح ذكيا . لقد كان أرسطو معجبا بأبقراط * خصوصا في طريقته التجريبية ، كما أثار أرسطو بعض المشاكل الوراثية الحديثة ، فقد تزوجت امرأة من "أليس " رجل زنجي فأنجبت أولاد جميعهم من البيض ، و لكن ظهر أولاد زنوج في أحفاد العائلة ، تساءل

---

* قام أبقراط بكسر بيض الدجاج في مراحل مختلفة من حضانة البيض ، و طبق نتائج هذه الدراسات في كتابه الصغير (في أصل الطفل) ، و حذا أرسطو حذو أبقراط ، و أجرى تجاربا مكنته من وصف تطور الصوص و الكتكوت أثارت إعجاب علماء الأجنة حتى في يومنا هذا . (Microsof encarta 2009)

([1]) ول ديورانت ، قصة الفلسفة ، ترجمة :فتح الله محمد المشعشع ، دار المعارف ، بيروت ، ط 6 ، 1988 ، .ص ,ص 73 ، 74 .

أرسطو أين كان السواد مختفيا في الجيل الوسط ؟ لم يكن بين هذا السؤال الذكي و بين تجارب جرجور مندل G.Mandel (1822 – 1882) سوى خطوة واحدة عندما يعرف الشخص كيف يسأل يكون قد عرف نصف الجواب ، على الرغم من الأخطاء التي تشوه هذه الأعمال البيولوجية فإنها تمثل أعظم وثيقة علمية قام بوصفها رجل بمفرده([1]).

ب – التقنيات و الأخلاق الطبية ومظاهر ازدهارها عند المسلمين:

تفصل 965 سنة بين موت الإسكندر الكبير و وفاة النبي محمد صلى الله عليه و سلم ، و خلال هذه الحقبة من الزمن تطور النظام الطبي اليوناني الروماني و ذلك بفضل كتابات أبيقراط و جالينوس و ديوسقوريدس بشكل أساسي، كما ازدهرت الإسكندرية كروما و القسطنطينية و أنطاكيا و أديسا في مقدونيا كمراكز نشاط علمي و طبي([2]).

لقد كانت الإهتمامات الطبية موجودة بالتأكيد في شبه الجزيرة العربية ،قبل الإسلام كما هو الأمر في كل المجتمعات ، و قد كان هناك أطباء يلبون بشكل أو بآخر الحاجات الطبية للمرضى و الجرحى ، و يبدوا أن طرق المعالجة في ذلك العصر بقيت متبعة طوال حياة النبي صلى الله عليه و سلم كلها تقريبا ، و في الفقرة الأولى من خلافة الأمويين ، ولا نعلم شيئا عن طبيعة هذه العنايات الطبية إلا من خلال ما وصلنا من أقوال الرسول صلى الله عليه و سلم و بعض أفراد المجتمع الأول كالصحابة رضوان الله عليهم

([1])المرجع نفسه ص ، ص 110 ، 111 .

([2]) رشدي راشد ، موسوعة تاريخ العلوم العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ج3 ، ص ص 1155 ، 1157 .

، و رغم أنهم لم يكونوا معنيين بإعطاء وصف دقيق للطبابة فإن أقوالهم شكلت لمحة عن الطب في ذلك العصر([1]).

ولما كان العرب شتيتي الثقافة في هذا الأمر زمن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم كان لا بد أن تمكث فترة حتى تؤتي تلك الدعوة ثمارها، حتى إذا إزدادت فتوحاتهم وإستقرت أمورهم في عهد الأمويين " نشأت في الشام وفارس وغيرهما طائفة من الأطباء واسعة العلم عظيمة المقدرة " ([2]) وهؤلاء قاموا يترجمه بعض الكتب الطبية عن الأمم الأخرى، وخاصة الإغريق، والذين يعدون بحق أئمة العالم في هذا المجال.

وعلى يدي هؤلاء وجدت بوادر صنع الأدوية على أسس علمية عند المسلمين ، ثم ازداد هذا الأمر شيئًا فشيئًا، حتى صار للمسلمين الريادة في صناعة الأدوية خلال العصر العباسي، وساعد على ذلك أيضًا تشجيع الأمراء العباسيين للأطباء الاعاجم على اختلاف مللهم، إذ أجزلوا لهم العطاء، وقربوهم إليهم حتى ذكر أن بختيشوع * طبيب هارون الرشيد والبرامكة جمع ثروة طائلة([3]).

([1]) المرجع نفسه .ص 1157 .

([2]) ول ديورانت ، قصة الحضارة مجلد 4 جزء 2 ص 189 .

*بختيشوع : توفي حوالي 151هـ ، اسمه الكامل جورجيس بن جبرائيل بن بختيشوع ، أشهر طبيب في جند سابور القريبة إلى بغداد ، و كان إثنا عشر فردا من عائلة بختيشوع على امتداد ثمانية أجيال قد خدموا الخلفاء كأطباء و مستشارين و هم نصارى اهتموا أيضا بترجمة النصوص و تأليف مقالاتهم الخاصة)–رشدي راشد، موسوعة تاريخ العلوم العربية ، ج3 ، ص 1161 .

([3]) ول ديورانت ، قصة الحضارة مجلد 4 جزء 2 ص 190.

وما كتبه الطبيب حنين بن إسحاق (ت 260 هـ) عالم و مترجم و عالم لغات و طبيب مسيحي ، ولد بالحيرة والده صيدلي ، قام حنين بن إسحاق بترجمة أعمال جالينوس و أبقراط و أرسطو، عينة الخليفة العباسي المأمون (ت833م) مسؤولا عن بيت الحكمة و ديوان الترجمة . إذ عدد له ابن النديم مجموعة كتب منها كتاب " اللبن " كتاب " العين " كتاب " آلات الغذاء " كتاب " الأسنان واللثة " كتاب " الباه " وكتاب " أوجاع المعدة وعلاجها " وكتاب " الترياق " وكتاب " الفرُّوج " وكتاب " تولد الحصاة " وكتاب " إختيار الأدوية "([1]).,وهذه المؤلفات كانت تجمع بين الترجمة من اللغات الإغريقية والهندية والفارسية وبين التأليف الخالص ولكن أهم ما إتسمت به أنها لم تكن مجرد مؤلفات نظرية ، وإنما لازمها التطبيق العملي ، يؤكد ذلك ما قاله "ول ديورانت " صاحب كتاب قصة الحضارة الشهير : " إن المسلمين أدخلوا الملاحظة الدقيقة ، والتجارب العملية ، والعناية برصد نتائجها في الميدان الذي اقتصر فيه اليونان على ما نعلم ــ على الخبرة الصناعية والفروض الغامضة ــ فقد إخترعوا الأنبيق وسموه بهذا ا لإسم ، وحللوا عددًا لا يحصى من المواد تحليلاً كيميائياً، ووضعوا مؤلفات في الحجارة (الكريمة) وميزوا بين القلويات والأحماض ، وفحصوا عن المواد التي تميل إليها ، ودرسوا مئات من العقاقير الطبية ، وركبوا مئات منها([2]) وأشار في موضع آخر إلى استخدام الحقن فقال : ومن الأدوية المركبة الحقنة ... في الدبر وفي قبل المرأة ، وكذلك المراهم التي يعالج بها الجراحات

([1]) www.wikipedia.org. 2013/03/16 – 29: 19

([2]) ول ديورانت، قصة الحضارة مجلد4 ج2 ص 187.

والقروح ، وكثيرًا ما نجد عبارة " جربته " ومجرب "([1]) عند وصفهم للأدوية, ويقول أيضا: " وأضافوا إلى علم الأقرباذين العنبر والكافور وخيار الشنبر والقرنفل العطري والزنبق والسنالمكي والمر ، وأدخلوا في الأدوية مستحضرات طبية جديدة ، منها : أنواع الشراب ، والجلاب ، وماء الورد وما إليها، وكان من أهم الأعمال التجارية بين إيطاليا والشرق الأدنى استيراد العقاقير العربية، وكان المسلمون أول من أنشأ مخازن للأدوية والصيدليات، وهم الذين أنشئوا أول مدرسة للصيدلة "([2]).

ولا يكاد الطب الحديث يزيد شيئًا على ما وصفوه من العلاج للجدري والحصبة ، وقد إستخدموا التخدير بالاستنشاق في بعض العمليات الجراحية ، و إستعانوا بالحشيش وغيره من المخدرات في النوم العميق ([3]) .

وهم أول من أدخل تغليف الحبوب بالذهب والفضة، وأول من حضّر الأقراص بالكبس في قوالب خاصة ... و إستخدموا في عمليات الترشيح والتبخير والتذويب (الصهر) والتبلور أدوات طبية تشبه الآلات المستخدمة حديثًا ، مثل البوط والبوتقة والراط

([1]) أبو العباس* أحمد بن القاسم ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق : نزار رضا ، بيروت ، مكتبة دار الحياة ، ج1 ،ص 548.

* أبو العباس أحمد بن القاسم ت1270م : الملقب بأبي أصيبعة ، يذكرنا اسمه بكتاب عيوم الأنباء في طبقات الأطباء الذي يورد فيه أكثر من ثلاثمائة و ثمانين طبيبا ، غير أن الغريب في ذلك أنه لم يأت على ذكر زميله في الدراسة ابن النفيس على الرغم من تخصيصه فصلين للحديث عن معاصريه في سوريا و مصر ، رشدي راشد ، موسوعة تاريخ العلوم العربية ، ص 1187

([2]) ول ديورانت ، قصة الحضارة ج2 مجلد 4 ص 189 . وانظر فيليب حتى ، تاريخ العرب ص 447 / و سيدو : تاريخ العرب العام ص 382 ترجمة عادل زعيتر ط2 سنة 1389 هـ .

([3])المرجع السابق : مجلد4 ج 2ص 189 ، 190 .

والمسبكة "القالب " والمكوى والماسك والمبرد والملعقة والمقص والمطرقة والمنفاخ والأتون والأثال والإنبيق والتنور والحريرة والدرج والرادوف من الخيش والسلة أو القفص والسكرجة والصلابة والقابلة والقارورة والقدور والقمع والمنخل والمهراس والنشابة والميزان لوزن وتقدير الثقل .

واستخدموا المباضع لإجراء العلميات الجراحية [1] وقاموا بتجريب الدواء على الحيوان لمعرفة مدى فاعليته وآثاره الجانبية قبل تناول البشر له، فقد وضعوا من القواعد الصحية ما تنادي به منظمات الصحة العالمية الآن مثل ضرورة الاقتصاد في استعمال الأدوية قدر الإمكان .وهذا التطور في المجال الطبي عند المسلمين كان له أثر على البشرية جمعاء ، وما زال الناس يعترفون بفضل الأطباء المسلمين مثل : ابن سينا * والرازي* لذين عاشا في القرنين العاشر والحادي عشر الميلادي ، وقد ظلت مؤلفاتهم الطبية ، تدرس في الغرب حتى القرن السادس عشر الميلادي ، بل وعلقت لهما بمدرسة الطب بجامعة باريس صورتان ملونتان [2] .

([1]) أبو العباس أحمد بن القاسم : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص 314 .

([2])ول ديورانت، قصة الحضارة ، مجلد 4ج2 ص 192 بتصرف .

*الرازي ولد بالقرب من بخارى (أوزبخستان حاليا) ، سماه الغرب أمير الأطباء وأبو الطب الحديث ، و قد اتبع نهج أبقراط و جالينوس ، من أهم كتبه "القانون" و "الشفاء" ,(12: , 2013/03/15 www.wikipedia.org)

= * ابن سينا 980-1037م : أبو علي الحسن بن عبد الله طبيب و عالم مسلم من بخارى ولد بالقرب من قرية أفشنة الرازي 864-923 م : أبو بكر محمد بن يحي ابن زكرياء الرازي ، ولد بمدينة الري و هو طبيب فارسي صاحب كتاب "الحاوي في الطب" . – (2013/03/15, www.wikipedia.org :.)

وقد لعبت الحكومات الإسلامية دورا هاما في ازدهار المجال الطبي ، إذ كانوا ينظمون هيئات من الأطباء يطوفون في مختلف البلاد ليعالجوا المرضى، كما كان الأطباء يذهبون في كل يوم إلى السجون ليعالجوا نزلاءها [1]. وأقاموا المستشفيات وأوجدوا لها الأطباء في كل التخصصات حسب احتياجات كل بلد ، فكان بمستشفى دمشق عام 978م على سبيل المثال أربعة وعشرون طبيبًا [2].

وبرع من المتخصصين في صناعة الأدوية كثير من العلماء خلال العصر العباسي مثل أبي عبد الله محمد بن سعيد التميمي وكان مقيمًا بالقدس، وكان له غرام وعناية فائقة في تركيب الأدوية ، وحسن اختيار مادتها ، وعنده غوص بأمور هذا النوع ، واستغرق في طلب غوامضه ، وهو الذي أكمل الترياق الفاروق بما زاده فيه من المفردات ، وذلك بإجماع الأطباء على أنه الذي أكمله .

وشجعه على ذلك الحسن بن عبد الله الإخشيدي ، وكان مغرمًا به وبما يعالجه من المفردات والمركبات، وعمل له عدة معاجين ولخالخ طبية ودخنا دافعة للوباء، وسطر ذلك في أثناء مصنفاته، وكذلك الوزير ابن كلس * حيث أهدى له هذا العالم كتابًا سماه مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأبدان[3].

([1])نفسه ول ديورانت ، قصة الحضارة، مجلد 4ج2 ص 190 .

([2])المرجع ، مجلد 4ج2 ص 190 .

*ابن كلس: ولد ببغداد سنة 930 م ، من عائلة يهودية عرف بنزاهته و حسن تدبيره ، اعتنق الإسلام ، توجه إلى

واشتهر من العلماء في صناعة الأدوية أيضًا أبو عثمان الدمشقي الذي عاش في القرن العاشر الميلادي (القرن الرابع الهجري) وابن دينار الذي عاش في القرن الحادي عشر (القرن الخامس هـ) والذي كان خبيرًا بصناعة الأدوية ، وينسب إليه دواء الشراب المعروف بالديناري وله كتاب الأقرباذين وابن بطلان الذي عاش في القرن الخامس الهجري(الحادي عشر الميلادي).

وكان من الأطباء من يقوم بصناعة الأدوية وتوزيعها مجاناً على المحتاجين .

ودهن البنفسج الذي كان يستعمل في علاج الصداع والسعال وماء الشعير وماء البذور و الكسنجين وهو خليط من الخل والعسل أو السكر وبعض الفواكه وهو دواء نافع للربو([1]).

حيث خدم المعز لدين الله الفاطمي و عاد معه إلى مصر و اكتسب حضوة كبيرة عند العزيز بالله الفاطمي و عين وزيرا لديه (www.wikipedia.org. 19 : 30-12.04/2013-)

([3]) أبو العباس أحمد بن القاسم ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص 546 .

([1])المرجع نفسه ، ص 314 .

*جالينوس :ت 200م.كاتب و طبيب اغريقي شهيرتخصص في علم التشريح,كان له تاثير في الطب الغربي مدة1300 عام,انتقل الى روما سنة 162م,اسس بها عيادته الخاصة,ليعمل بعد ذلك طبيبا للامبراطور الروماني ماركوس اورليوس,ترجمت العديد من اعماله الى اللغة العربية زمن نهضة الدولة الاسلامية,

-(www . wikipedia .org 19 :45-16.03 /2013)

لقد فاقت شهرته الآفاق في مجال الطب حتى أنه شبه بجالينوس*، و قد كان مؤلفا غزير الإنتاج إذ نعرف له 270 مؤلفا تقريبا و من بين أعماله القصيرة قصيدة تعليمية في الطب و أخرى في الصحة الجنسية ، و مقالة عن العقاقير الخاصة بالقلب و التي تلعب دورا في فيزيولوجيا و علم الأمراض القلبية و حول تأثير العواطف على الجهاز القلبي – العروقي و حول العقاقير البسيطة التي تنظم نبضات القلب ,ان كل هذا لابن سينا.

أما إنجازه الكبير و الذي اشتهر به في الشرق و الغرب فهو كتاب **القانون في الطب** ، فقد أمضى في تأليفه مدة طويلة ابتدأ فيه عندما كان في جرجان في شمال بلاد فارس و تابع التأليف أثناء هجرته غربا إلى الري ، ثم أكمل عمله في همدان في الجنوب الغربي ، لقد نافست هذه الموسوعة الكبيرة الكاملة الكتاب الشهير العائد للمجوسي و تجاوزته في العديد من المواضيع ، و بعكس الرازي و المجوسي لم يرد ابن سينا إستشهادات من المصادر ، فقد قسم موسوعته هذه إلى خمس مقالات ففي المقالة الاولى مثلا نجد:

1- (العناصر و الأمزجة و علم التشريح الأجزاء المتجانسة)

2 - (الملكات الست الغير طبيعية و العوارض العامة للأمراض) .

3- (علم الصحة و الحمية)

4 -(طرق العلاج العامة)([1]).

يبدأ ابن سينا كتاب القانون بما يمكن اعتباره نقدا مبطنا للمجوسي بقسمة كتابه إلى قسمين نظري و عملي .

"أقول أن الطب علم تعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح و يزول منه لتحفظ صحة حاصلة و تسترد زائلة و لقائل أن يقول إن الطب ينقسم إلى نظر و عمل و أنتم قد جعلتموه كله نظرا ، إذ قلتم إنه علم . و حينئذ نجيبه و نقول : إنه يقال : إن من الصناعات ما هو نظري و عملي ، و من الفلسفة ما هو نظري و عملي ، و يقال إن من الطب ما هو نظري ، و منه ما هو عملي ، و يكود المراد في كل قسمة بلفظ النظري و العملي شيئا آخر لا نحتاج الآن إلى بين اختلاف المراد في ذلك إلا في الطب" [(2)] . و ليست وجهة نظر ابن سينا سوى في أن الأول علم أصول و الآخر علم كيفية المباشرة .

و الحديث عن هذه الآداب في معاملة المرضى يدعوا إلى الرجوع إلى أقدم مقالة عربية في أدب مهنة الطب و تعود إلى إسحاق بن علي الرهوي حوالي القرن الثالث للهجرة

التاسع ميلادي و هي بعنوان "أدب الطبيب "، و قد نصت على الكثير من المبادئ ، فالطبيب على سبيل المثال ينبغي عليه أن يراعي نظافته الشخصية و أن يرتدي ثيابا ملائمة ، و أن يكون كريم النفس مثقفا باحثا عن الحقيقة ، كما ينبغي عليه أن يكسب ما

([1]) رشدي راشد ، المرجع السابق ، ص 1174 .

([2]) رشدي راشد،موسوعة تاريخ العلوم العوبية ، ص 1175 .

يكفيه لتربية و تعليم أبنائه دون اللجوء إلى مهنة أخرى غير الطبابة ، و أيضا أن يأخذ من الغني ليكون بمقدوره مساعدة الفقير ، و أن يراعي في تصرفه أصولا خاصة عند عيادته للمرضى ، إضافة إلى ذلك فقد كان لكتاب "جوامع الكلم" لأبقراط أثرا واسعا في النصوص الطبية العربية ، إذ تعاقبت الكتابات و الشروحات التي تحتوي في قسم كبير منها على مسائل آداب مهنة الطب و على طبيعة الصنعة و وظيفة الطبيب الفريدة [1]. وتبرز عدة صور ملامح هذه الآداب .

ج- التقنيات و الأخلاق الطبية في العصر الحديث :

لقد تطور الطب تطورا هائلا منذ عصر النهضة ,فانعم على الاطباء بقوة ومهارة لاسابق لهما ,حدث ذلك منذ حوالي اربعمائة ,عندما اصبح لدى البعض في ايطاليا الشمالية من الشجاعة و التواضع ما يكفي لتقبل فكرة ان الانسان يمثل جزءا من الطبيعة ,وكان ذلك يعني ان الانسان فد تمكن من دراسة نفسه بعين الطر يقة التي كان يتعلم بها دراسة حركات النجوم المتحركة على الارض ,ان كل ما حدث منذ ذلك الحين ,انما هو مجرد نتيجة من نتائج تفسير مضمون هذه الفرضية الجبارة غير المعتادة ,ولكن كان قد مضى زمن طويل قبل ان تبلغ المعرفة التي اكتسبت من مثل هذه الدراسات ,المستوى

([1])المرجع نفسه ، ص 1195 .

الذي مهد لكل طبيب تقريبا , ان يستفيد منها ,في تكييف سير المرض عند اي من المرضى[1].

ومن جهة أخرى كانت ترددات داروين * Darwinالمتعلقة بالعلاقة العددية بين الأنواع المخلوقة ، والأنواع الحالية، قد أعطى صدقية بين الطبيعيين لفكرة النوع من حيث كونها وحدة بيولوجية واقعية ،إلى درجة أن داروين و والاس* A.R Wallace صرحا في عام 1858* بوجوب اعتبار التكوين التنويع وما تحث النوع والنوع ظواهر قابلة للتفسير انطلاقا من التنوع الفردي للأجسام ،فإنهما عطلا فلسفة بيولوجية تعود أسسها الصريحة إلى قرن مضى ([2]). لقد كتب كلود برنارد*" المدخل" ،وبلور بتعب شديد

([1]) مجموعة باحثين,الانسان و العلم و الطب ،المكتب العالمي للبحوث ,بيروت ,1983,ص ص11—12 .

*تشارلز داروين : 1809 – 1882 عالم أحياء بريطاني ، صاحب نظرية التطور الذي أورد أهم أفكاره في كتاب أصل

*ألفريد راسل والاس 1823 – 1913 : عالم أحياء بريطاني معاصر لداروين ، اشتهر بتطوير نظرية تقوم على فكرة الانتخاب الطبيعي ، أشهر كتبه في ذلك كان سنة 1870 مدخل إلى نظرية الانتخاب الطبيعي Contribution à la théorie de la selection naturellle . (Microsoft encarta 2009– .

*تمثل سنة1858 بالنسبة إلى مؤرخ علوم الحياة الذكرى المؤوية للنشر المتزامن من قبل تشارلز داروين والفرد رسل والاس لنظريتها المتعلقة بآلية التطور البيولوجي في سنة 1858، وتمثل أيضا الذكرى المئوية الثانية للتثبيت الإستعمالي للتصنيف الثنائي في علم النبات وعلم الحيوان في الطبعة العاشرة لكتاب SYSTEMANTUROE ليليه LINNE في عام 1758 . وعلى الرغم من أن التذكير بهذا التاريخ قد ثم حجبه بذكرى أول نشرة لأفكار داروين الخاصة

المبادئ (...) إلا أنه ومثلما يؤمن بعض الفلاسفة بالفلسفة الخالدة ،مايزال الكثير من الأطباء اليوم يؤمنون بالطب الخالد ، والأصلي، إنه الطب الأبيقراطي وقد يبدو مزعجا أن نجعل القطيعة التاريخية التي يبدا منها الطب الحديث ، في فكرة الطب التجريبي ،باعتبارها إعلان حرب على الطب الأبقراطي ،وبالفعل فإن كلود بارنارد يستعمل قانون الحالات الثلاث للفكر البشري التي صاغها أوغست كو مت*COMTE و يعترف" أن حالة الطب التجريبي تفترض تطورا سابقا ".ولكن ،إذا كان تاريخ الطب يؤذي إلى إنصاف أبيقراط مؤسس طب الملاحظة ،فإن هاجس المستقبل يفرض على الطب ليس رفض طب الملاحظة فقط ،بل الانفصال عنه.

إن الأبقراطية هي نزعة طبيعية ،وطب الملاحظة هو طب سلبي وتأملي ووصفي مثل العلم الطبيعي، وأما الطب التجريبي فهو علم فاتح " فبواسطة هذه العلوم التجريبية النشيطة ،يصبح الإنسان مبتكرا للظواهر ، وسيدا لأبداع الحقيقة، وقد لا نعرف من هذه

بالبلدان الأنجلوسكسونية ،فإنه ينبغي إن نرى في المئوية الثانية لإصلاح التصنيف العلة الكبرى للدلالة المبهمة المعطاة لمئوية الثورة البيولوجية ، –بيار تويلييه : أصول الثورة البيولوجية المعاصرة ، تعريب : عبد القادر بلقناديل ، المجلة الفلسفية الجزائرية ، جامعة وهران ، ع1 ، 1997 ، ص 64 .

([2])جورج كانغيلام ،دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها, ترجمة,محمد بن سلسي ،المنظمة العربية للترجمة,بيروت,لبنان ,ط1 2007,ص162.

* كلود برنارد 1813 – 1878 : فيزيولوجي فرنسي و أب الطب التجريبي الحديث ، أشهر كتبه مدخل إلى الطب .

* اوغست كومت1798–1857فيلسوف فرنسي واحد ابرز مؤسسي الوضعية.

الزاوية وضع حدود لقوته التي يمكنه أن يكتسبها على الطبيعة .وبعامة فإن علم الملاحظة ،على عكس من ذلك ،"يتنبأ ويحتاط،ويتحاشى،لكنه لا يغير شيئا تغييرا نشيطا" ([1]).

وبصورة خاصة فإن "طب الملاحظة يرى ويلاحظ ويفسر الأمراض ،ولكنه لا يمس المرض ،ولكنه لا يلمس المرض، فعندما يتجاوز أبقراط التوقع المحض لإعطاء الأدوية ،فإن ذلك يكون دائما من أجل تشجيع الميول الطبيعية ، وبمعني أن نجعل المرض يمر بمراحل سريعا ".ويسمى كلود برنار بالأبقراطيين كل الأطباء الذين في العصور الحديثة لم يضعوا على رأس اهتماماتهم شفاء المرض ،بل انشغلوا أولا وقبل كل شيء ، بالحدود،وبتصنيف الأمراض ،وفضلوا التشخيص والتوقيع على المعالجة :إنهم علماء تصنيف الأمراض ، الذين أسسوا مند مورغاني علما جديدا للأمراض على أساس التشريح المرضي ، وبواسطة البحث عن العلاقة السببية المرضية،بين فساد البنية والاضطرابات المتعلقة بالأعراض ، يعلن كلود برنار:إن الطب التجريبي ، وإن كان ذلك على الفور ،يريد على الأقل في آخر المطاف تحطيم علم تصنيف الأمراض وتجاهل التشريح المرضي، فالأمراض بالنسبة إليه لا توجد بما هي ماهيات متميزة .لا توجد سوى أجسام في شروط حياة سوية أو غير سوية ، وليست الأمراض سوى وظائف فيزيولوجية مضطربة.

إن الطب التجريبي هو الفيزيولوجيا التجريبية لما هو مرضي ،يقول المدخل:"إن القوانين الفيزيولوجية توجد في الظواهر المرضية "، وتكرر المبادئ قائلة :"كل مل يوجد

([1]) جورج كانغيلام ، دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها، ص204.

في حالة مرضية ينبغي أن يوجد ويفسر فزيولوجيا". ومن هنا تأتي الخلاصة :"يمارس الطبيب المجرب ،على التوالي ،تأثيره في الأمراض ما إن يعرف بالتجريب "حتميتها" الصحيحة،بمعنى العلة القريبة"[1].

إن هذا يمثل بحق إحالة الطب التوقعي على المعاش .وقد كنا رأينا كاباني* cabanèsيفصل فصلا تاريخيا صناعة الملاحظة عند القدماء وصناعة التجريب عند المحدثين .ولا يرى كلود بارنار تاريخ الطب العلمي على خلاف ذلك،فهو يقول :"يبدوا أن العهد القديم لم يعرف فكرة العلوم التجريبية ،أو على الأقل لم يعتقد في إمكانها ".ولكن حيث يحيل كاباني الطب على القدماء وعلى اللاحظة ، ويجعل له كلود بارنار على طريق التجريب مستقبلا للهيمنة وللقوة :"أن نهيمن علميا على الطبيعة الحية ، وأن نفتحها لصالح الإنسان تلك هي الفكرة الأساسية للطبيب المجرب ".إن فكرة الطب التجريبي ،الهيمنة العلمية على الطبيعة الحية ،هي الأبقراطية معكوسة المعنى الذي تعبر فيه الأبقراطية عن نفسها في عام 1768 في رسالة لغيندان (guindant) "الطبيعة المضطهدة بالطب الحديث". ([2])

*مورغاني 1682 – 1771 : طبيب و مشرح إيطالي مؤسس علم التشريح المرضي .

([1])المرجع نفسه، ص 204 بتصرف,

*طبيب فرنسي1862-1928

([2])المرجع السابق،ص 206,

ثانيا : مختلف الرؤى الطبية في عصرنا :

أ-جورج كانغيلهم canguilhem.نحو طب معياري:

يشخص كانغيلهم* أزمة العلم الغربي تماما كما شخصها "هوسرل"** ، فهذا العلم الذي ينطلق في دراسة الإنسان و الظواهر الكونية إنطلاقا من الحقيقة البرهانية المجردة وصولا إلى الواقع الحقيقي الملموس ، و بالتالي فهو يحجب

نفسه عن معرفة ذلك الواقع بسبب انغلاقه على نفسه مستأنسا بدقة الحقيقة الرياضية ، و غافلا عن الواقع الحقيقي ، و هذا ما أراد كانغيلهم التعبير عنه .

إن الموضوعية العلمية المشيدة على النموذج الرياضي منذ "غاليلي" تريد أن تتصور الواقع بدون أي ذات و لا ذاتية ، أي عالم من القوانين الرياضية المتجانسة غير مأهول و لا غير قابل لأن يؤهل من طرف الذوات ، و بهذا فالمعقولية العلمية تتجاهل أنها هي نفسها نتاج الإنسان نتائج الحي و الحياة ، و أن الذاتية التي تتنكر لها هي الشرط الأول المؤسس لمشروعها المعرفي[1].

و في ذات المصب يؤكد كانغيلهم أنه ما كان بالإمكان تصور قيام معقولية علمية فيزيائية بدون أخطاء تقنية سابقة على العلم ، كما لم يكن من الممكن تصور قيام معقولية حيوية بيولوجية أو فيزيولوجية بدون أمراض و اختلالات وظيفية حقيقية ، فالحي عن طريق حاجاته و مشكلاته هو المحرك الأول و الأساسي للعلم و المعرفة العلمية ، لكن الإنسان العالم ينسى ذلك "إن

([1]) Pascale, , Dupond , Laurent Cournarie .Phénoménologie un siècle de philosophie , Ellipses 2003. P178.

العقلانية إذا أخذت بمعناها الحرفي الصارم كفلسفة الرجل العالم ، فإنها ستنتهي به إلى أن ينسى أن هو ذاته كائن حي"[1].

فهو سليم و بلا تردد أن الكائن الحي هو الشرط الأولي القبلي لقيام أي نشاط معرفي و صناعي ، و قد كان قبل بداية التقنية و الفن و الأخلاق ، و ما يزال الأساس الذي تبنى عليه كل معرفة و كل ممارسة ، و لذلك فافتراض وجود مركز حي معناه وجود ذات [2]، و لذلك لا يمكن أن تتأسس من فراغ ، فالانطلاقة الأولى كانت من الحي كمعيارية مبدعة و خلاقة عملت خلال مسار طويل على مراكمة الخبرة و التجربة حتى حولتها إلى معرفة .

و في الحديث عن فلسفة الطب يؤكد كانغيلهم أن العلاقة المتبادلة بين المريض و المرض ، و الطبيب و المؤسسة الطبية ليست مجرد ممارسة تبتغي الشفاء ، إنما هي ممارسة و معرفة و مسئولية و أخلاق و سلطة، فالفعل الطبي الجراحي ليس مجرد فعل علمي ، لأن الإنسان المريض الذي يسلم نفسه لضمير طبيبه أكثر من علمه لا يعاني فقط من مشكل يطلب له حلا فيزيولوجيا ، إنه يائس يطلب النجدة ،ذلك أن معرفة الحياة لا يمكن أن تتم وفق

([1]) Georges Canguilhem , Notes sur la situation faite en France a la philosophie biologique, P 327 .

([2])Michel Foucault , Dits et écrits , paris , Gallimard , 1994 , P 540 .

نماذج رياضية مجردة ، لأن عالمنا ليس عالم النقاء و التناغم و التجانس ، إنه عالم الأخطاء و الفوضى و اللاتجانس ، و لذلك تدرس الرياضيات عالما كاملا و ملائما ، بينما تدرس علوم الحياة موضوعا لا يغادر الواقع الحي.

هذا اللاتوافق بين الذات العالمة الرياضية و الذات المنتجة للمعايير و هي الذات الحية هو ما شكل لغزا طالما سعى كانغيلهم إلى حله مرتكزا على تحليل و نقد الخطاب العلمي الصارم ، فعلى الرغم من كون كانغيلهم ينتمي حسب "فوكو" M–Foucault إلى تيار يؤكد على أولوية الموضوع و العالم الخارجي، فهو يصنفه في الفلسفة الفرنسية ضمن فلاسفة المفهوم و المعقولية (باشلار ، بوانكاريه) ، في مقابل فلاسفة الذات و التجربة الفردية المعاشة مثل : يوهنسون ، سارتر ، ميرلوبونتي [1] إلا أن كانغيلهم في بعض النقاط و التمفصلات الإستراتيجية في فلسفته جعل للإنسان دورا فاعلا و أساسيا كذات Sujet ، ففلسفته أشد قرابة إلى الفلسفات الذاتية الوجودية منها و الفينومولوجية ، ذلك أن للإنسان بنية بيولوجية و سيكولوجية تحدث لديه معنى يرتبط بوجوده ككائن فريد .

(1) Michel Foucault , la vie : l'expérience et la science , p 04 .

يقول كانغيلهم بأن المعنى من وجهة نظر بيولوجية و سيكولوجية يدل على تقدير تقويمي بالنسبة لحاجة ، و الحاجة عند من يعانيها و يعيشها هي نسق مرجعي غير قابل للاختزال ، و بالتالي مطلق و لذلك يعبر السلوك البيولوجي لدى الإنسان عن مرجعية مطلقة لا يمكن اختزالها لا في الوسط الطبيعي و لا في الفضاء المحايد الفيزيائي الكيميائي ، فمصطلح المطلقة يدل على التمايز بين الطرفين ، الحي و الوسط رغم الروابط و الصلات بينهما فمعايرة الحي الإنسان تعد مرجعية مطلقة لأنها قادرة على تجاوز الواقع و قواه الميكانيكية ، و تجاوز حتى تركيبتها العضوية و التأسس كقطب مركزي أو بؤرة لا مادية .

ب- فرانسوا داغوني ، نحو ابستمولوجيا خاصة بالطب:

داغوني Dagognet طبيب و فيلسوف علوم متخصص في الفكر الطبي و البيولوجي ، يندرج ضمن سلالة جورج كانغيلهم و غاستون باشلار ، فما الذي جعل من عالم طبيب أن يتحول إلى فيلسوف و ابستمولوجي ؟ و ما هي فلسفته ؟

إن طبيعة الطب التقنية من جهة ، و فكرة ابستمولوجيا خاصة بالطب من جهة ثانية تثير مسألة العلاقة بين الطب و البيولوجيا ، حتى إن سلمنا بأن للطب صورة المعرفة النظرية ، فالسؤال المطروح ، هل تستحق هذه المعرفة النظرية التي يتصف بها الطب استمولوجيا خاصة متميزة عن تلك المتعلقة بالبيولوجيا ؟

إن هذه المسألة اتخذت منحى خارقا نظرا للاهتمام الكبير بها ، اليوم مع تأسيس الطب ، بمعنى آخر هذه المسألة أصبحت تطرح انطلاقا من اعتبار العلاقة في صورتها الجديدة ، أي من خلال الارتباط الضيق للطب –الذي هو في توسع كبير– مع البحث البيولوجي الأساسي ، و في هذه الحالة إما أن تكون العلوم الطبية قد نبعت من هذه الأسس البيولوجية ، و منه لا دعوى للحديث عن ابستمولوجيا خاصة بالطب ، أو أن الأمر غير ذلك و هذا معناه أن موضوع الطب الأساسي و المثالي و هو المرض La maladie يفلت من المعقولية العادية للظواهر البيولوجية .

و في هذه الحالة الثانية علينا أن نعترف بأن هناك استقلالية جوهرية للمعرفة الطبية بالنسبة للمعرفة البيولوجية ، بهذا تكون من أولويات ابستمولوجية الطب ، تفسير معنى و مشروعية هذه الاستقلالية ، و لعل أغلب توجهات هذه الابستمولوجيا يتضمن التعريف بمختلف فروع الأمراض و الصحة المعنوي و المرضي ، و بيان ما إذا كانت هذه التفسيرات تنتمي لحقل التأويلات الطبيعية للظواهر البيولوجية([1]) و في نظر فرانسوا داغوتي فالطب يندرج ضمن المباحث التي ليس لها مرجع و محاولة الفلسفة تبرير التجريبية بالنسبة لداغوتي هي طريقة من طرق تحطيم هذه التجريبية فلسفيا ، في الوقت الذي كانت فيه متجدرة و معترف بها ، و ممجدة بالتعبير الطبي و المهني[2]

([1])Dominique Lecourt , (sous la direction . Dictionnaire de la pensé médicale. Pp 430 -431.

([2]) Dagognet François . L'homme maitre de la vie. Edition Bordas , Paris , 2003P 106

و من جهة أخرى فداغوني يميز بين الطب و البيولوجيا ، لإقامة إبستمولوجيا خاصة بالطب ، فعلى خلاف ديكارتDescartes* الذي إعتبر الطب كفرع من فروع العلوم الطبيعية ، جدعها علم الطبيعة و فروعها هي العلوم الأخرى كالهندسة و الطب و الميكانيكا [1]، يعتبره أحد العلوم الإنسانية ، إذ يميز بين البيولوجيا بفروعها كالفيزيولوجيا و الكيمياء الحيوية ، و بين الطب و أهم فروعه و هو الباطولوجيا (علم

---

*يعتبر ديكارت (1565 – 1650) الأب الحقيقي للفلسفة الحديثة في أوربا ، و المؤسس الحقيقي للذاتية الغربية في حقب التبست فيها يقظة العلم ببقايا اللاهوت ، فقد حاول ديكارت أن يصالح بين عالم الفكر و عالم المادة ، و هذا الإنجاز يعتبر من أهم الإنجازات الفلسفية في تاريخ الفلسفة، و يبرز مقولة الكوجيتو لديه : " أنا أفكر إذا أنا موجود " حالة الإنسان المفكر العقلاني الذي ليس له فقط أن يتلقى ما يأتيه من السماء ، بل الفاعل و المكتشف ، و بهذا تظهر "سيادة الإنسان" و هي جوهر الكوجيتو الديكارتي. يمارس ديكارت تفريقا بين الذات البشرية و الجسد، و بين الله و العالم من خلال اعتقاده بأن العالم غير تام الكمال ، فهذا يدل على وجود كمال و هو الله ، يقول "إن الإثيه أي النفس التي أنا بها هي متمايزة تمام التمايز عن الجسم ")رينيه ديكارت ، المرجع نفسه، ص 218 .(. و في حديثه عن الرياضيات "كنت معجبا بالرياضيات خصوصا لما في حججها من يقين و بداهة (...) ، عجبت كيف تكون أسسها ثابتة و متينة إلى هذا الحد ، و لا يشاد عليها بناء أسمى من هذا البناء ")رينيه ديكارت ، مقالة الطريقة ، ترجمة : جميل صليبا ، موفم للنشر ، 1991 ، ص 08 .(. يظهر لنا الجانب الاختزالي في فلسفته ، يقول : "إن التفسير العلمي عند ديكارت اختزالي في جوهره ، فالظواهر المتعددة التي تشكل الكون يمكن أن تختزل إلى التفاعل الميكانيكي بين جزيئات المادة التي يمكن أن تقاس أشكالها و أحجامها و حركاتها رياضيا ")–جون كوتنغهام ، العقلانية ، ترجمة : محمود منقد الهاشمي ، مركز الانتماء الحضاري ، حلب ، ط1 ، 1997 ، ص 64(.. هذا النقد الموجه لديكارت تبعه النقد المرتبط أصلا بالكوجيتو ، حيث يرى فوكو أنه لا =يمكن تأسيس المعرفة على مبدأ هو ذاته حدس تخميني ، لأن انتقال الذات و تحولها إلى أن يمر عبر مراحل تاريخية ، و يتم تدريجيا و ليس معطى أوليا بصفة كلية من البداية.

, . (Michael Foucault Dits et écrits Paris , Gallimard , 1991 p540)

,

المرض) من جهة ، و إعتبار المرض و العيادة أنطولوجيا كلاهما يدعو إلى التناول الفلسفي الابستمولوجي للطب من جهة أخرى ما دام الطب و العيادة ملازمين لحياة الإنسان ، فهذا في نظر الفيلسوف يعطي الطب ذلك الطابع الإنساني ، فلا غرابة أن نعتبره علما من العلوم الإنسانية ،لأن المرض في اعتقاده هو أكثر الحالات تعبير عن الطبيعة الإنسانية ، كما اعتبر الطب في هذه الحالة هو أفضل العلوم تعبيرا عما يشغل بال الإنسان منذ فجر الإنسانية ألا يستحق كل هذا اهتماما فلسفيا خاصا به وبالتالي ابستمولوجيا خاصة.

لم يتوقف النقاش حول قيمة التقنيات العلمية بصفة عامة و التقنيات الطبية خاصة ؛ عند اللاهوتيين فحسب ؛ بل إمتد الى رجال القانون ؛ مع أنه من الصعب ايجاد صلة واضحة بين القانون و الاخلاق ؛ من حيث أن القانون هو مجموعة القواعد الموضوعة و

مراقبة من السلطة العامة ؛ في حين أن الاخلاق توحي بالقواعد التي يتقبلها الوجدان الفردي و معنى هذا أن القانون موجه للمجتمع ؛ بينما الأخلاق موجهة للفرد. و الا فكيف

([1])رينيه ديكارت ، مقالة عن المنهج ،، ترجمة : محمود محمد الحضيري ، الطبعة الثالثة بالهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1985 . ص ص 268 ، 269 .

نفسر لماذا يضطر المشرع الى وضع و مراقبة قواعد لا تتفق الا جزئيا مع القواعد الأخلاقية؛ أو تستطيع أحيانا معارضتها ؟ يمكن تبرير هذا التعارض تاريخيا . فقد تبنى كانط فكرة كلاسيكية المتمثلة في أن القانون يهتم بالتصرفات الخارجية ؛ و تهتم الأخلاق بالتصرفات الداخلية أو النوايا . و هي فكرة أخذها كانت عن الفيلسوف الألماني توماسيوس*. إلا أن هذا التمييز ليس مقبولا تماما ؛ خاصة إذا علمنا أن النظام القانوني يأخذ النوايا بعين الاعتبار([1]). و حتى نثبت هذا التقارب بين القانون و الخلاق ؛ ننظر الى غاية كل منها ؛ فالأخلاق تقر بشكل خاص أن الانسان يكرس نفسه للخير العام. و نفس الشيء بالنسبة للقانون حين يهدف الى تحقيق النظام و العدل بين الناس داخل المجتمع . و بما أنه لا يمكن فصل الفرد عن مجتمعه ؛ كما أنه لا يمكن التشريع لمجتمع من غير أفراد ؛ فاننا نستنتج أن كل من القانون و الأخلاق يهدف الى الخير العام و هذا الأخير هو خير الانساني. و لكن الملاحظ اليوم تراجع واضح للاخلاق أمام القانون؛ وهيمنة هذا الأخير في المجتمع المتحضر. فلا غرابة في أن نجد المبادىء الأخلاقية الكبرى قد أصبحت مقننة. و لهذا لا نجد وسيلة للحفاظ على الانسان في مجتمع

---

*توماسيوس Cristian Thomasius 1655–1782م. لاهوتي و رجل قانون و فيلسوف .أول من اشار بين القانون والاخلاق و الدين.

([1])هنري باتيفول ؛فلسفة القانون؛ ترجمة ؛ سموحي فوق العادة؛ منشورات عويدت؛ لبنان؛الطبعة الأولى؛ 1972م .؛ ص. 109–110

تسود فيه كل أنواع العلاقات؛ الحسنة و السيئة؛ الا بقوة القانون؛ الذي يعمل في كثير من الاحيان على الحفاظ على المبادئ الأخلاقية. و محاربة النوايا غير المشروعة؛ خاصة إذا تعلق الأمر بمصير الانسان؛ نتيجة التأثيرات المتلاحقة للتطبيقات العلمية منها البيولوجية و الطبية على وجه الخصوص([1]).

و أفضل مثال يمكن أن نقدمه في هذا الصدد, الإعلان العالمي لحقوق الإنسان؛ و خاصة المادة الثالثة منه التي تقول :" لكل فرد الحق في الحياة و الحرية و سلامة الشخصية".

و بهذا المعنى يكون للبيوإطيقا إلى جانب الدين و الفلسفة ؛امتداد في القانون؛و الدليل؛ مختلف اللجان التي شكلت في أكثر من دولة؛ و كانت الحاجة اكثر إلى انشائها في الولايات المتحدة الأمريكية؛ و ذلك في وقت مبكر جدا نتيجة التجاوزات التي لوحظت في مجال التجريب على الإنسان. ففي مستشفى يهودي للأمراض المزمنة **بنيويورك Hospital Disease Jewish Chronic**

في سنة 1966 أتبث الطبيب بيشر Beecher . k. h تعرض إثنى و عشرون مريضا مسن تم تلقيحهم بخلايا سرطانية دون علم منهم. و لعل أبرز ما سجل في هذا المجال الأخير هو التقرير النهائي للمؤتمر الدولي حول البيولوجيا و الأخلاق. الذي نظمته اليونيسكو Unesco بمدينة فارنا Varna ببلغاريا في شهر جوان 1975م. و قد ضم هذا المؤتمر علماء و فلاسفة و رجال أخلاق من كل أنحاء العالم.

([1]) المرجع نفسه؛ ص.111.

إن مجمل هذه النتائج و التوصيات المتمخضة عن هذا المؤتمر؛توضح جليا كم كانت مسألة النظر في التقييم الأخلاقي للتقنيات الطبية و البيولوجية أمر ضروريا؛و هي في أن واحد دعوى إلى العودة إلى الأساس الأخلاقي للممارسات العلمية خاصة منها الطبية و البيولوجية ؛على أن يكون مساير للواقع؛ و هو ما يطلق عليه إسم الأخلاق العملية. و ما حيرة المتد خلين في هذا ال مؤتمر؛و الذين يمثلون كل شعب المعرفة و التفكير؛ إلا دليلا قاطعا على أن الوقت حان لدق ناقوس الخطر الناجم عن ال تجريبية على الكائن الحي و خاصة منه الإنسان.

ج-النقاش حول حقوق ملكية الحياة بين هابرماس وسلوتردايك:

إن الفلسفة أبدية و خالدة ، لكن الفلسفات بنات عصرهن ، فقد انطرحت دائما المسائل المتعلقة بالمعرفة و الحقيقة و العمل و الأخلاق و السياسة و فن العيش ..الخ ، لكنها تتخذ في عصرنا وجها محددا بدقة ، فقد شمر فلاسفة امتثال يورغن هابرماس عن سواعدهم للنقض الحداثة التي تهيمن عليها أفكار التقدم و العقل و الحرية .

شرع يورغن هابرماس المولود سنة 1929 ، الملقب فيلسوف الجمهورية الألمانية ، أحد ورثة فراكفورت([1]) *، من الجيل الثاني في مشروع نقدي للعقل الغربي

([1]) توم بوتومور ، مدرسة فرانكفورت ، ترجمة : سعد هجرس دار أوبا ، طرابلس ، ليبيا ، ط1 ، 1998 ، ص 29 بتصرف.

* – مدرسة فرانكفورت : تيار فكري ظهر في ألمانيا على يد مجموعة من الفلاسفة ، ماكس هورخايمر 1895 – 1973

المنظور إليه على أنه تعبير عن الوعي التقني المهيمن و المؤدي إلى الإغتراب من أهم أعماله :

-المعرفة و المصلحة (1976) .

- نظرية الفعل التواصلي(1987) ([1])

إن من العبث زعم تلخيص فلسفة يورغن هابرماس و لن يتجاوز الأمر مجرد صياغة للأسئلة التي تطرحها أعماله الدقيقة ، لكن المعقدة و المتغيرة الأشكال التي يزداد تعمقها دائما و أبدا ، و التي يصعب حصرها في مجال واحد أو ضمن مدرسة واحدة ،

=و تيودور أدورنو 1903 - 1969 و والتر بنجامين 1892 - 1940 و هربرت ماركيز 1898 - 1978 و ايريك فروم 1900-1980 الذي ابتعد فيما بعد عن المدرسة ، ثم و بصورة متأخرة يورغن هابرماس أهم وريث لهذه المدرسة ،

اقترح هذا التيار المتأثر بالماركسية نظرية نقدية كانت تريد أن تكشف فيم وراء وهم العقل الكوني عن الخطاب المهيمن

، خطاب الفعالية و التجربة و إيديولوجيا اغترابية 1 ، و الحال أنها إذا كانت مدرسة فراكفورت قد اكتسبت هويتها من الفكر الماركسي ، فإن التطورات التالية التي جاء بها الجيل الثاني من هذه المدرسة قد أبرزت عدة تقاسيم و تفصيلات . الفكر ، و كتفت حضوره للإمكان استيعاب ملابسات و مستجدات (-جون فرانسوا دورتيي فلسفات عصرنا ، ص 498).

([1])جون فرانسوا دورتيي فلسفات عصرنا ، ص 204 ،

يحسب هابرماس عن حق ضمن ورثة مدرسة فرانكفورت ، لكنه يدين بالتأثر لفلاسفة آخرين أمثال ماكس فيبر و كانط و هيجل ,فقد ظل كانط في نظر هيغل عاجزا عن إدراك اللحظة الدياليكتيكية (السلب) ، و لم يستطع أن يعتبر أن التناقض الذي هو العنصر الأساسي الذي يقوم عليه الدياليكتيك في الوجود و الوجود الاجتماعي و هذا راجع لتصورات كانط الصورية لمفهوم الزمان ، لذا فإن هذه الفلسفة في نظر هيغل لا يمكنها أن تنظر للأحداث الاجتماعية كما لو كانت واقعية ,إن هيغل بدياليكتيكه استطاع تأسيس شمولية للمعرفة و العالم في الفلسفة من خلال القول ب "جدلية المعرفة التأملية و المعرفة التجريبية ، و أن هذه الأخيرة مرحلة داخل الدياليكتيك" , و ماركس *،و إذا كان هابرماس باحثا في علم الاجتماع السياسي فإن أعماله تعرف من كل التخصصات الأنثروبولوجيا ، التحليل النفسي ، نظرية أفعال الكلام .

تبصر مدعم باهتمامات عملية ، تصدر تنوعا معرفيا تلقائيا ، هذا العمل يتطلب رجالا واسعي الثقافة عملوا في القرن الثامن عشر ضمن التقاليد العلمية على تشييد مسار تلقائي يسمى: بالموسوعة ، هؤلاء هم رجال "الأنوار " ، هابرماس هو رجل أنوار أيضا و بمقاييس متعددة : أولا بالتزامه الصارم من أجل العقل و هو قضية مركزية في فلسفته و معلم أساس في نظرته للتاريخ في الوقت نفسه([1]).

([1]) جان فرانسوا دورتيي ، المرجع السابق ، ص 499.

ثانيا لاهتمامه بقراءة الراهن بحثا عن مبادئ /قيم كونية ([1])

بيد أن حدث هابرماس تكمن في أنه لا يختزل العقل لا في المنطق و لا في الفعالية ، لكنه يعترف باختلاف و تنوع الاهتمامات الإنسانية ، و بأن الأسس التي يقترحها لا تحيل لا إلى طبيعة و لا إلى إرث * ، لكن إلى حركة الناس أنفسهم من أجل أن يفهموا بعضهم بعضا ([2])

([1]) المرجع نفسه، ص 498.

([2])المرجع السابق،ص498 .

*تلك الصورة التي يوافق هابرماس من خلالها على أن الفلسفة لم تعد تساند مزاعمها بأنها قادرة على أن تكشف عن طبيعة الحقيقة الجوهرية ، و هو ينكر أيضا الفكر المعاصر الملزم بالاختيار بين الشيء التقني التافه أو الاعتباطية ، فالفلسفة تستمر في التعامل مع الأسئلة الجوهرية ، من خلال التعاون مع النظام التجريبي ، و هذا اعتراف صريح بأن الفلسفة لم تعد تعمل بمفردها في ميدان الحياة, و ينم هذا على أن تاريخ النظرية الاجتماعية منذ ماركس لم ينجح في رأي هابرماس ، و لذلك حاول الجمع بين النسق و العالم المعاش ، بمعنى أنه يحاول أن يؤلف بينهما و ذلك من خلال التأكيد على ضرورة الجمع بين الجانب النظري الذي يحدد التصورات النسقية للمجتمع المتكامل – و بين نظرية الفعل لمجتمع مترابط من خلال أفعاله التواصلية حيث يقول "إن نقطة انطلاقي إذن هي بيان أن المشكلة = النظرية المتعلقة بكيفية الجمع بين المفاهيم الأساسية للإنسان و نظرية الفعل الاجتماعي مشكلة حقيقية و أصلية)عطيات ابو السعود . الحصاد الفلسفي للقرن العشرين و بحوث فلسفية أخرى ، منشأة المعارف جلال حزي و شركاه ، 2002 ، ص 115 (.

"و بهذه الصورة يحاول هابرماس إدخال نظرية للفاعلية التواصلية ، و يكون الهدف منها إبراز القواعد المعيارية للنظرية النقدية للمجتمع و التي تفرض مهام جديدة على التفكير الإنساني المتفاعل مع عطاءات العلوم الإنسانية ، و بذلك يحاول الانتقال من نظرية الوعي إلى نظرية التواصل)محمد نور الدين أفاية : الحداثة و التواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة ، نموذج هابرماس ، الطبعة الثانية ، إفريقيا الشرق ، 1998 ، ص 132 (.و بذلك تصبح النظرية

التواصلية هي دراسة تأسيسه من أجل العلوم الإنسانية ، حيث أنها تكشف عن البناء التحتي الشامل للحياة الثقافية الاجتماعية (Thomas MCcorthy : The critical theory of Jurggen habermas, The mit press, Cambridge, Mas ssachettes, And London , England ., p.282

,إذن يحاول هابرماس أن يكتشف العمليات التطورية المتضمنة في عبارات العلاقة بين الأنظمة و عالم الحياة " في ميدان الحياة اليومية المهتم بانتقال الثقافة ، التوحيد الاجتماعي و اجتماع الفرديات في عبارة "الفعل التواصلي" Jurggen (Habermas : Autonoy and solidority , p.13).

=و إن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن هابرماس يحاول أن يرسخ عمله الفلسفي من خلال نطاق الدعوة إلى إعادة النظر مرة أخرى إلى العقل العملي الذي يسترشد بأخلاق تواصلية لا تفرض بواسطة سلطة أو اعتمادا على مرجع تقليدي(محمد نور الدين أفاية : المرجع السابق ، ص 18).

,و هنا تبرز "النزعة الإكمالية" لدى هابرماس حيث أنه يحاول أن يضع العقل في إطار أشمل، لهذا السبب قام بإدخال البعد التواصلي ، و هو يرى أن البعد لديه المقدرة على التجاوز و تحقيق التفاعل و الانسجام بين الناس من خلال التواصل اللغوي الهادف للتفاهم المتبادل وفق قواعد أخلاقية تحكم العملية التواصلية حسب معايير متفق عليها) عطيات أبو السعود المرجع السابق ، ص 100 (.و من أجل أن تتوافر المعايير ، يتحدث هابرماس عن أنواع مختلفة من التناسق كالآتي :

1 – يوجد التناسق في التأكيد و المقابلة ، و ذلك بواسطة أن يأخذ كل مشارك حرية مساوية للآخر لكي يقول ما يريد و يرفض ما يريد .

2 – يوجد التناسق في الكشف و الخفاء الذي وفقا له يصبح كل مشارك واثق من نفسه في العرض الذاتي و قبول العرض الذاتي للآخر .

3 – يوجد التناسق في الحقوق و الواجبات التي بواسطتها أيضا يمنح المشارك حق الامتياز، بل يتوقع كل مشارك الآخر كما يتوقع نفسه (Paul Giurlaud F.S.C : Habermas critique of Gadamer : Does it (p.37 , up stand

في ظل مساواة تضمن للمشاركين الدفاع عن أدوارهم في الحوار و هذا الدفاع يجعل التمييز ممكن على نحو بنائي بين الجملة الصحيحة و الزائفة ، و الملاحظة الصادقة و الكاذبة ، و الأفعال الصحيحة و الخاطئة .(Loc . t ci 38 p).

يعد الجدل الدائر حول حقوق ملكية الحياة من أهم القضايا التي أثيرت في تاريخ بني البشر ، إذ تمس هذه القضية جوهر معتقداتنا حول طبيعة الحياة ذاتها ، و حول قضية إن كان للحياة قيمة جوهرية خاصة بها ، أو أنها قيمة منفعية فقط([1]). إذ يذهب مؤيدو الهندسة الوراثية البشرية إلى القول أنه من قبيل الوحشية و عدم الإحساس بالمسؤولية ألا

حيث أن التواصل الموجه تجاه الفهم يشمل البناء التبادلي و الذي على أساسه يدرك الأفراد المشاركين مزاعم الصدق " فيما يتفاهمون حوله Jurggen Habermas : Areply to my critics in habermas critical Debates ,) Edited by John B.Thomspson and David held , The mit press , Cambridge , Massachusettes , 1952 , p.255).

= و بهذه الطريقة يصبح التواصل و النشاط العقلاني الهادف عنصرين أساسيين في التفاعل الاجتماعي ، و هذا التفاعل ينقسم إلى : الفعل التواصلي و الفعل الاستراتيجي ، ففي الحالة الأولى يأخذ التناسق مكانه بواسطة طريقة بناء الوعي ، و في الحالة الأخرى بواسطة تنمية وضع المصلحة (Ibid p237)

و هذا التقرير إنما هو اعتراف بل تأكيد من هابرماس على أن الحقيقة ليست رهانا فرديا في زمنية المجتمع الحديث ، و لا يمكن أن يكون نتاج اجتهاد عقلي متعال لفيلسوف بعيد عن حركة التاريخ ، و تأكيد هابرماس على الاتفاق و التوافق و الإجماع و التفاعل هو تأكيد اكتسبه من الاحتكاك المباشر بالمناقشات السياسية و الفكرية داخل المجال الشمولي الحديث[11]و هنا يتبدى أن كلا من جادامار و هابرماس كانا إلى هدف واحد و غاية واحدة مع اختلاف الرؤى لكل منهما ، فكما دعا جادامار أو سعى إلى التخلي عن أنماط العقل الكلاسيكية ، و بناء على ذلك انتقد العقلين العلمي و الصوري ، و شرع في تأسيس بنائه التواصلي أو فلسفته التواصلية ، متخذا الوسيط اللغوي أساسا لها ، فكذلك هابرماس بنفس الاتجاه سعى بكل جدية إلى تأسيس نظرية جديدة (محمد نور الدين أفاية : المرجع السابق، ص 218).

([1]) جيريمي ريفكن ، قرن التقنية الحيوية ، ترجمة مركز الإمارات للدراسات الإستراتيجية ، ط1 ، 1999 ، ص 95.

تستخدم تقنية فعالة مثل هذه للحد من الاضطرابات الجينية الخطيرة . إن مشكلة هذا الرأي مثلما تقول صحيفة "The newyork times" في مقالة افتتاحية عنوانها "هل نخلق بشرا مثاليين؟ " ، هي" أنه ليس هناك خط واضح للعيان بين التقويمات الوراثية للعيوب الجينية و بين تحسين الجنس البشري ، و قد أصابت الصحيفة ذاتها حين أشارت إلى أن العلماء بمجرد أن يستطيعوا أن يقوموا العيوب الجينية يصبح من الصعب أن نجادل ضد جينات إضافية قد تعطي صفات قوية مثل صحة أفضل أو شكل أجمل أو نسبة ذكاء أعلى. إذا كنا سوف نحول دون أمراض السكري و السرطان من خلال تغيير التركيبة الوراثية للأفراد فلماذا لا نتقدم نحو الاضطرابات الأقل خطورة مثل قصر البصر و عمى الألوان و ضعف القدرة على القراءة و السمة ؟ في نهاية المطاف لماذا نرفض تعديلات في التركيبة الوراثية يمكن أن تعزز من رفاهية أبناءنا ؟ من الصعب علينا أن نتخيل آباء يرفضون إجراء تعديلات وراثية أكثر تبشيرا بتعزيز فرصهم([1]).

يؤيد سلوترديك وجهات النظر تلك ,في حين يقف هابرماس موقف المتحفظ المتردد مما قد يؤول اليه الوضع,ادا ما تم المساس بما يسميه حصن الاخلاق الذي لا يجب كسره.

سنة 1999 اندلع صراع كلامي نشيط بالمانيا و موجة من المقالات بالجرائد الاروبية.اتخدت "قضية سلوتردايك " او" فضيحة سلوتردايك–هابرماس" عنوانا لها .والامر

([1]) المرجع نفسه ، ص 187 .

راجع كله الى نص صغير بعنوان"قواعد للحضيرة الانسانية"والتي كانت موضوع محاضرة ألقاها سلوتردايك في مناسبتين الأولى كانت في بال,في جوان 1997 بمناسبة اليوم الدراسي الذي خصص لمناقشة"سؤال الانسانية" والثانية بمناسبة الملتقى المنظم شهر جويلية1999 و المتعلق ب"هيدغر و لفيناس"حول مسالة التدجين البشري"و كذا التخطيط المبرر للسمات الوراثية", وقبل الدخول الاكثر دقة لنص سلوتردك واستخراج النتائج نحاول اخد الرهانات الثقافية و السياسية لهذه المفارقة في عالم الملتقيات,فالبعض ارتاى بان هذا الملتقى تجاز في الواقع هابرماس و سلوتردايك ، إنه الكشف عن جو سياسي جديد قد يصبح تعريفا لمعطى فلسفي جديد وروح سياسية غير معلنة و هوية وطنية جديدة,انها ميدان لصراع اجيال ,بين المثقفين الذين عاشو زمن الحرب و لن ينسوها أبدا– هبرماس المولود سنة 1929 –وكتاب ولدو بعد الحرب–سلوتردك ولد سنة 1947 – والذين لا يريدون ان يجبرو على تحمل ثقل ماض لم يكونو مسؤولين عنه([1]),

هذه العلاقة مع الماضي النازي هي بوضوح علامة التاريخ السياسي و الثقافي لالمانيا ما بعد 1945, مند إشكالية المسؤولية العمومية المطروحة سنة 1946 من قبل كارل ياسبرز, وبالعوة إلى زمن سلوترديك 1997 وفي نفس السنة ظهر مقال نقدي "مشروع زرادتش"ل توماس أشور T–Assheur,([2]) الأمر عائد الى تلك "النزعه المضادة للمساواتيةوالمرتكزة على فكرة الإكتمال Extermination .,أي اكتمال الجنس الجرماني

([1]) Alexandre Dupeyrix,La conception de la citoyenneté chez Jurgen habermas,thése de doctorat soutenue le 05 /12/2005,,univ,lyon 02-lumiére,p88.
([2])Ibid,p88.

استنادا إلى انجازات علم الوراثة, إن العنصرية الألمانية علمية ليس فقط في كتاباتها عن الكمال,بل كذلك اتحدت مبرراتها صورة علمية, إنها تقصى كل ما لا يتفق و مقاييسها(بيولوجيا ,نفسيا,ثقافيا,اجتماعيا,جماليا.ان النازية جعلت بهذا البيولوجيا المحركة من قبل اليوجينيا Eugènisme مسألة تخص الصحة العمومية, ومرتبطة من وجهة سياسية بتسيير قطيع ,و قد حاز كل هذا على إعتراف هتلرHitler :

"إن اعتراف زعيم سياسي والاستعمال الذي اقامه يمثل ظرفا رئيسيا في حياة شعب(,,,,فزعيم الامبراطورية العرقية الألمانيةهو أول رجل دولة يجعل من معطيات البيولوجيا الوراثية و اليوجينيا مبدا رسميا في قيادة الدولة"([1]).

لم يتوانى سلوترداىك في الرد ايجابا على مقالة اشور في مقالة عنونها"موت النظرية النقدية,ففلسفة سلوترداىك تقف موقفا مدعما لعطاءات البيولوجيا الوراتية و اليوجينيا,وهذا ما لن يصمت عنه هابرماس خصوصا ما يتعلق المساس ب " أخلاقيات النقاش"لصالح الخلط و الغموض و الارتباك la confusion الذي تسببه وجهات نظر كهذه ، إن صراع كهذا هو صراع للحداتيين وما بعد الحداثيين ,صراع يبرر المهمة المزدوجة للفلسفة المعاصرة على حد تعبير لوك فيري L.Ferry « الأولى نظرية ، و هي دور فهم ليس فقط لما هو كائن و لكن لما كان أيضا يتمثل هذا الدور في إعادة رسم تاريخ رؤى العالم التي عبرت مسارنا الديمقراطي و نشطته ، هذا العمل لم ينته بعد إطلاقا و يبقى مهما إن

([1])André pichot,l'eugénisme,ou les généticiens saisis par laphilanthropie,ed,Hatier,paris,1995,p45.

كنا نريد تأمل مصطلحات مثل الهجرة و المواطنة أو الجنسية . و المهمة الثانية الأخلاقية إنها نقد الزمن الحاضر ، مرت الأجيال الماضية هذا النقد ب إسم نموذجين ، نقد مفكرو اليمين و اليمين المتطرف المجتمعات الديمقراطية باسم ماض ولى ، و قاموا به المفكرون التقدميون و الماركسيون في كثير من الأحيان باسم مستقبل مشرق ، و الحال اليوم أننا متصالحون مع المجتمعات الديمقراطية ، مهمة الفكر التي تفرض نفسها اليوم هي إذا محاولة ممارسة نقد داخلي : تحليل واقع هذه المجتمعات باسم مبادئها نفسها ، باسم الوعود التي تقدمها لكن التي لا تفي بها ،إنه عن طريق اللغة تأسس الوعي والمنطق ، ومن جهة أخرى فلكي يقوم مجتمع ما فهو يحتاج إلى التفاهم ([1]) .

([1]) بيير مونتيبيلو ، نيتشه وإرادة القوة ، ترجمة جمال مفرج ، منشورات الإختلاف ، ط1، 2010، ص 35.

إذا كانت الابتكارات التقنية تهدف إلى إثراء الحياة البشرية ، كما في حالة تقنية النانو ، فإن هذه التقنية أصبحت تقدما تحديا فنيا فريدا من حيث التباين و التفاوت بين تسع درجات مقادير الطول التي تفصل بين مقياس "المتر" و النانومتر. و على أقصى تقدير فإن هذا الهدف يحتاج إلى أن يتحقق من خلال التقدم الذي يحدث في مرحلة الاندماج بين التقنية الحالية ، و التقنية المستقبلية بما يحقق الربط بين مقياس النانو ، و الحياة البشرية العادية . و أما بالنسبة للأنظمة المتناهية الذكاء و التعقيد ، فإن الجسم البشري يتضمن عمليات طبيعية تديرها الجزيئات ، مثل الحمض النووي DNA و البروتينات و جميعها من مرتبة النانومتر ، و قد يكون من الأفضل الرجوع إلى مقالة بي .دبليو أندرسون P.W.Anderson إذا أردنا أن نتطرق إلى التحديات التي تواجهنا و نحن نستطلع الألاليات التي تحكم التعامل بين مدى واسع من الطول ، حيث ذكر في مقاله الذي نشر في مجلة Science عام 1972 ، إن خصائص جديدة تماما تظهر عند كل مستوى من مستويات التعقيد ، ويحتاج فهم هذا السلوك الجديد إلى البحث الذي أعتقد أنه ذات طبيعة أساسية كغيره من الأبحاث ، و على سبيل المثال يمكن أن تقوم خلية تعمل في الأبحاث ، و المعلومات المتعلقة بالحامض

النووي DNA مع مجموعة أخرى تعمل في المجسات النانونية و مشغلات الحركة للوصول في النهاية إلى نتيجة قد تكون من أهم و أكفأ المصانع التلقائية في مستوى النانو .

إن الإثراء العلمي الذي يقسم مراتب الأحجام إلى ثلاثة مقادير من حيث الطول للتفريق بين عالم مقياس النانو و عالم مقياس الماكرو ، و المقياس الأخير يتعدى الموضوع الذي نحن بصدده ، و هناك عمل يستوجب إنجازه ، و هو الإجابة عن السؤال عن كيفية اجتياز مقاييس الأطوال الخاصة المتعلقة بإمكانات مقياس النانو التي يمكن أن تساعدنا بطريقة أو بأخرى في إثراء الحياة البشرية ، أما العمليات الأساسية التي تتم على المستوى الجزيئي ، فقد فتحت الطريق إلى عالم يمكن أن يؤدي التكامل بين الوحدات المنفردة إلى ظهور خواص أو تحريك وظائف من رتب أعلى ، و قد أدى بنا هذا إلى الاتجاه نحو التوصل إلى طريقة للدمج بين التقنية الحيوية و تقنية النانو ، و علم المعلومات ، الأمر الذي يكون من شأنه إثراء التقدم و الارتقاء بالتطبيقات الثورية لهذه الأنواع من التقنية . و فيما يتعلق بدفع عملية تسويق تقنية النانو = فنحن في حاجة إلى زيادة فهمنا لعلوم النانو ، و خلال العقود القليلة الماضية ازداد فهمنا لجزيئات مقياس النانو بفضل عدد من العلماء المتميزين في مجالات الأحياء و الفيزياء والكيمياء . و من ناحية أخرى فإن تقنية النانو مازالت في مراحلها المبكرة ، و لكنها مفتاح مهم لصناعة مستقبلية مهمة و جديدة ، و قد أمكن بإنشاء المبادرة الوطنية لتقنية النانو (NN I م) تحقيق زيادة ملحوظة في التقدم الذي تشهده هذه المجالات التي سبق ذكرها . و لتحقيق ذلك فمن المطلوب تحقيق ثلاثة أهداف أولها : أن قلب التقنية لابد له من تطور من خلال قدرتنا على إمكانية رؤية و التقاط و وضع و ملاعبة أو مراقبة و تحديد خصائص جسيمات النانو بدرجة عالية من الدقة . أما الهدف الثاني ، فإن علينا أن نقيم تقنيات التصنيع لكي يكون من الممكن تحقيق التكامل المنظم بين منتجات النانو و غيرها من المنتجات ذات المقاييس الأكبر مع زيادة المحتوى المعلوماتي الكامن داخل الهياكل المركبة و آخر الأهداف أو الخطوات التي يجب القيام بها من أجل قيام صناعة المنتجات النانونية التي سوف تنتج عن القدرات التي ستظهر من خلال السلوكيات التي تنشأ عن استخدامات منتجات مقياس النانو . =و تحتم التقنية الحالية القدرة على تغيير شكل الجزيئات المنفردة مثل البروتينات و الحامض النووي DNA ، و من المعروف أن جزيء الحامض النووي DNA هو عبارة عن سلسلة طويلة في حجم النانو تسبح داخل انسياب أو تدفق لزج يشد جزيء الحامض النووي DNA من المكان اللولبي منذ في وضع اتزان بين الأجهاد المؤثر عبر طول الجزيء و لشد الجزيء الحامض النووي قام Wong و فريقه العلمي عام 2003 بتصميم قنوات دقيقة تحتوي على مائع و حاجزين لتوجيه الانسياب بحيث تغطي المائع الذي ينساب

فيه الحامض النووي ، و جعله مشطورا في داخلها "على شكل سندوتش" ، و قد أثبتت هذه الطريقة المميزات التي نتجت عن معرفة أن معدلات استطالة سلسلة الحامض النووي تعتمد على معدل الانسياب في الجزء الخارجي من الحاجز ، حيث تتم تدنية تأثير الانسياب في المنطقة المركزية من الحامض النووي ، كما أن بطء عمليات الخلط التي تحدث في الانسياب تمكن من إمكانية التحكم و التلاعب بجزيء الحامض النووي DNA المنفرد .

تحديد خواص الحامض النووي : إن العائد من وراء استخدام جسيمات النانو في التطبيقات العملية ذات المنفعة الكبيرة ، سوف يتمثل في إمكانية تحديد الخواص اعتمادا على التركيب و البناء على سبيل المثال ، ميزة الحصول على معلومات عن التكوين ثلاثي الأبعاد للجزيئات ، و كذلك معرفة الآليات التي تتحكم في سلوكها ، و أمكن استخدام هذه المعلومات باعتبارها أساسا للتقدم الحالي للأجهزة و المعدات الحالية ، و ذلك اعتمادا على البحث المتعلق بالجزيئات الحيوية الذي قام به فريق (Ho et al) عام 2004 و عملا على تحقيق تحسين في الظروف البشرية من خلال تقنية النانو = فإن البحث واسع النطاق في الحامض النووي DNA سيؤدي إلى فهم واسع للمعلومات المجهولة أو المطمورة التي تنظم الظروف البشرية ، و تحكم علاقات الجسم البشري .

إن رسم أكواد الخريطة الجينية البشرية كجزء من مشروع الجينوم البشري Human genome قد استغرق هذا الرسم سنوات ، و بناء على ما تم التوصل إليه ، و مع التحسن الذي طرأ على التقنيات المستخدمة و التواصل السريع للتعرف على الحامض النووي للفرد ، أدى إلى احتمالات قوية و واعدة في مجالات صيانة و علاج الصحي و طرق توصيل الدواء إلى مكان المرض و مع التقدير الكامل للتكوين و البناء ، فإن إحدى الطرق الرائدة التي ساهمت في استخدام المسام التي في مقياس النانو كانت تستهدف تحديد خصائص مراقبة الجزيئات و التلاعب بها : من المتوقع أن يشتمل الاستخدام الميكروسكوبي – الوظيفي للجزيئات تطبيقات تتعلق بدراسة خصائصها الطبيعية ، كما أن استغلال =المميزات التي تشتملها الخواص التي تتميز بها جسيمات النانو الحاجة إلى مراقبة هذه الجسيمات و التلاعب بها بنجاح للتعرف على مواقعها و خصائصها ، فمثلا ، يمكن استخدام النظام ذاتي التجميع في عمليات التصنيع من القاع إلى القمة ، كما أن الاندماج بين علم الأحياء و تقنية النانو لن ينتج فقط من خلال الابتكارات التقنية ، و إنما سيشجع الأبحاث المستقبلية في اتجاه النظم النانونية الحيوية الطبيعية .

بيد إن ما عجزت عن فعله الطبيعة أو ما وقفت عنده فلسفات التاريخ التي سقطت صريعة ، أصبح بمقدور الهندسة الوراثية أن تتابعه وتكمله ولما لا تطويره ،

إن الطب المدعم بافاق الهندسة الوراثية واعد جدا، أنه يحمل إلى أناس الألفية الثالثة أحلاما و تطلعات لم تخطر على أطباء القرن الثامن عشر.

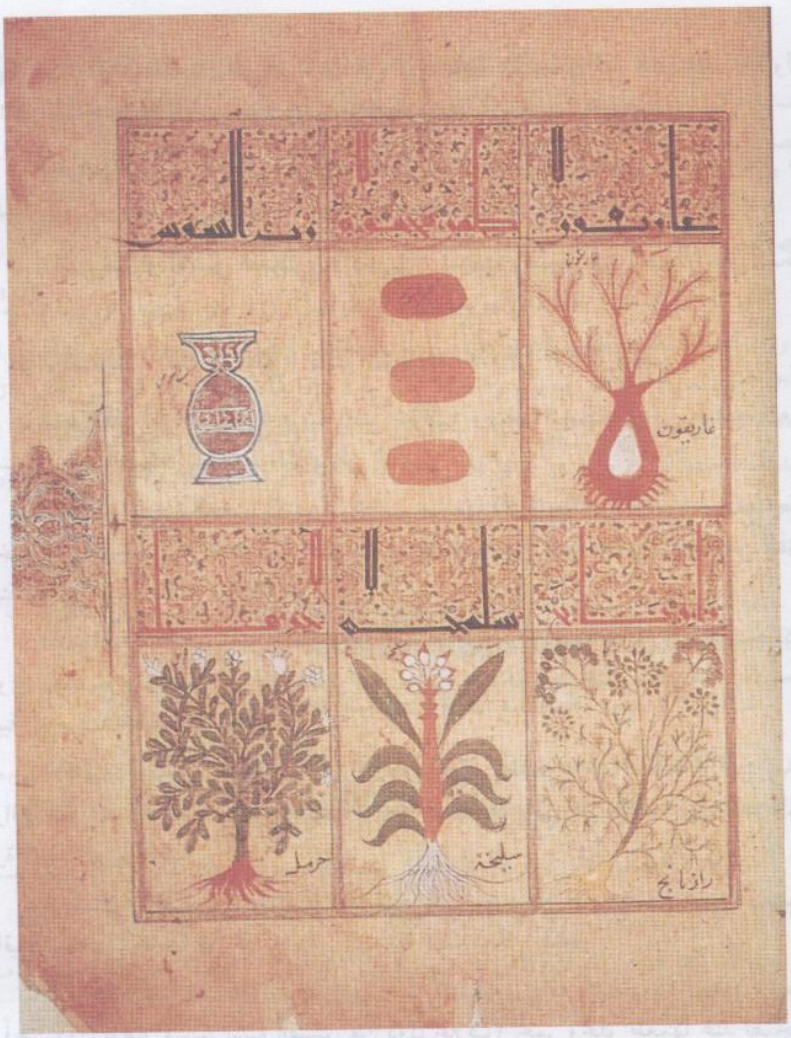

الصورة رقم (٢٤ ـ ٢)

جالينوس، **كتاب الترياق**، شرحه يحيى النحوي

(باريس، مخطوطة المكتبة الوطنية، ٢٩٦٤).

نسب هذا الكتاب ـ الذي يحتوي على دراسة «الأدوية المركبة» ـ إلى جالينوس، ولكن من الواضح أنه من أعمال العلماء المتأخرين.

نسخت هذه المخطوطة بعناية فائقة، ورسمت رسوماتها أيضاً بعناية.

وهنا، نرى نبتة السليخة (القرفة) في وسط القسم الأسفل من الصورة.

١٠٥٧

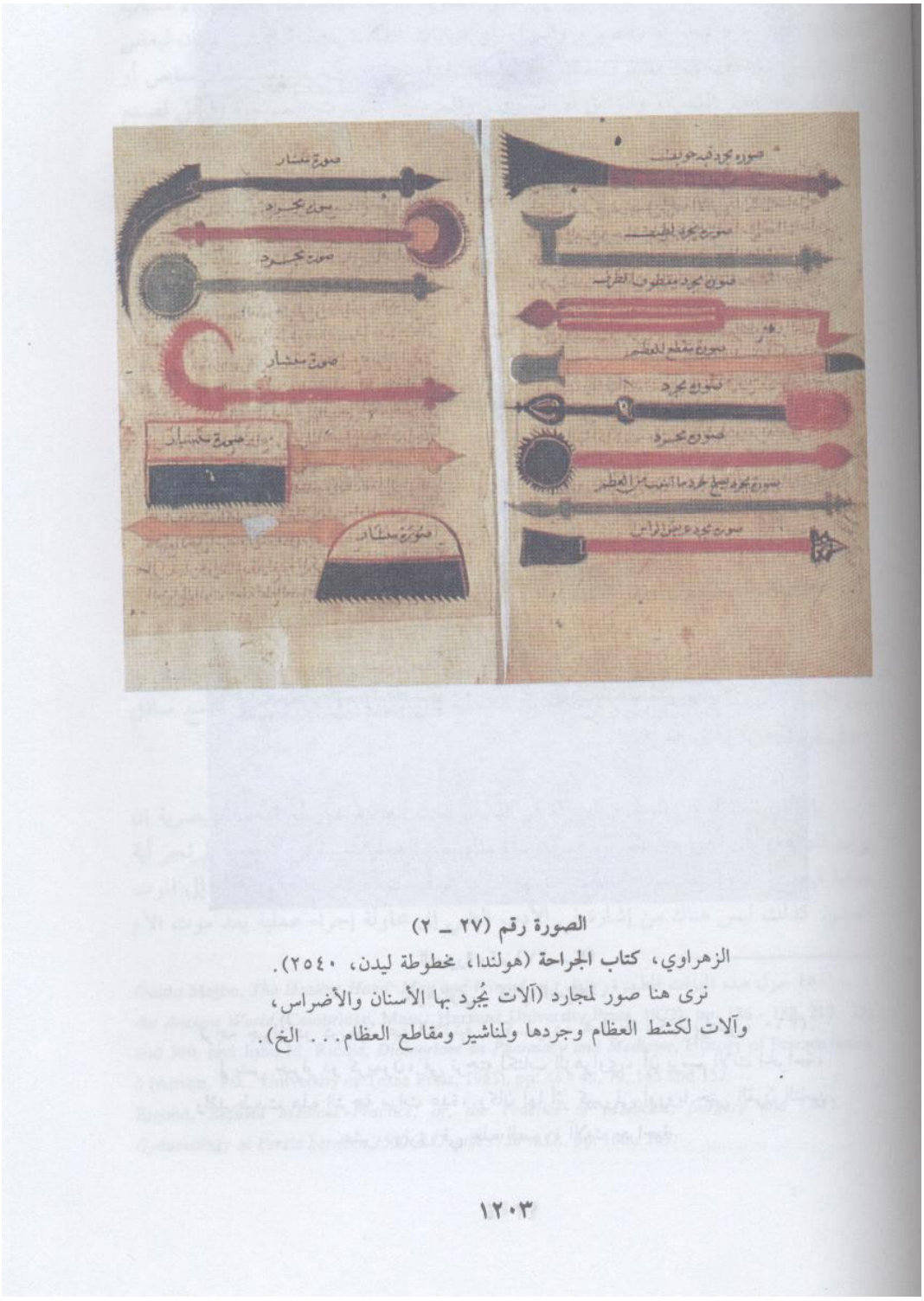

الصورة رقم (٢٧ ـ ٢)

الزهراوي، **كتاب الجراحة** (هولندا، مخطوطة ليدن، ٢٥٤٠).

نرى هنا صور لمجارد (آلات يُجرد بها الأسنان والأضراس، وآلات لكشط العظام وجردها ولمناشير ومقاطع العظام... الخ).

١٢٠٣

مر

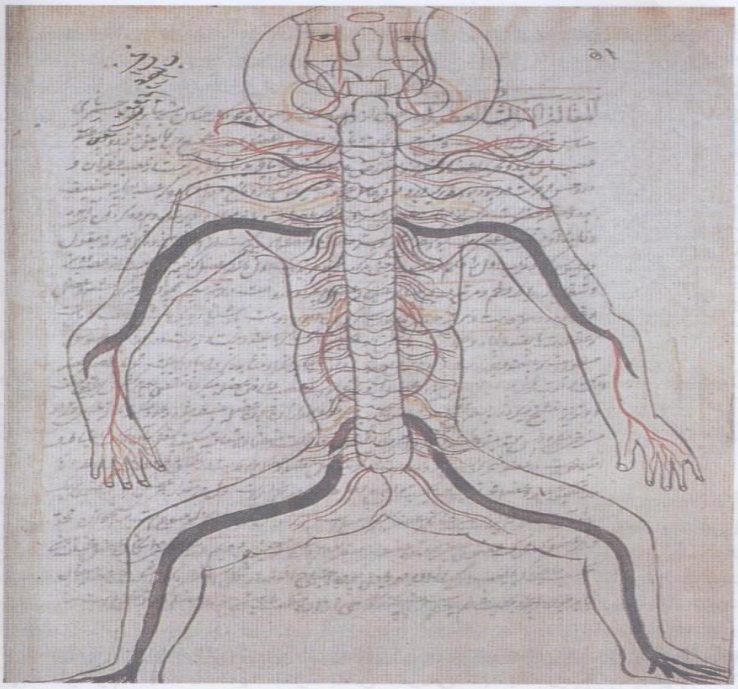

الصورة رقم (٢٧ ـ ٥)
منصور بن محمد بن أحمد بن يوسف بن فقيه إلياس،
تشريح المنصوري (باريس، مخطوطة المكتبة الوطنية، ١٥١).
كتاب التشريح هذا متأخر نسبياً ـ القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي ـ ولقد حرره أحد أطباء شيراز وقصد به مرجعاً للتعليم، وقد نُسخ كثيراً فيما بعد.
وتمثل هذه الصورة الجهاز العصبي.

١٢١٨

الجراحة

كان هناك ميل، بشكل عام، لاعتبار الجراحة فرعاً متميزاً عن بقية العلوم الطبية، ولهذا فقد كرست لها على الأقل مقالات خاصة ومنفصلة. ففي الأجزاء المخصصة للجراحة

الصورة رقم (٢٧ ـ ١)

شرف الدين المعروف تحت اسم سابوندجو أوغلو،

كتاب في الجراحة (باريس، مخطوطة المكتبة الوطنية، ٦٩٣).

حرّر هذا الكتاب عام ١٤٦٦/٨٧٠ استناداً إلى كتاب الزهراوي.

ويضيف المؤلف بعض الفصول عن الأمراض الجلدية وتحضير الأدوية.

وتمثل هذه الصورة موضع فصد أحد الأطفال.

= وحول مقالات حنين بن اسحق والرازي، انظر: Ḥunayn Ibn Isḥāq, *Questions on Medicine for Scholars*, and Salame Kataya, *Quelle est la différence, diagnostics différentiels de Rhazes* (Aleppo: Aleppo University, 1978).

١٢٠١

([1])

([1])رشدي راشد.مرجع سابق.ص1201

الفصل الثاني

رهانات " مستقبل الطبيعة الإنسانية"

النظرية التواصلية في مواجهة اليوجينيا والولادة

المبرمجة والإستنساخ

الفصل الثاني: رهانات "مستقبل الطبيعة الإنسانية ": النظرية التواصلية في مواجهة اليوجينيا والولادة المبرمجة والإستنساخ"

بعد الصدمات التي أصابت قناعات الإنسان من طرف غاليلي و داروين وماركس وفرويد،يستمر مسلسل الصدمة الخامسة في التاريخ على يد التقانة الإحيائية التي من احدى غايتها تحطيم الحدود نهائيا بين الجسد والآلة ، بين الطبيعة والثقافة ، أو بدقة بين العضوية الطبيعية والعضوية الاصطناعية و إلغاء المسافة بين المرئي واللامرئي .فالقرن الحادي و العشرين يحمل مستجدات لم نعهد مثلها قط.

أولا: تقنيات الهندسة الوراثية الجديدة

إذا كان من المهم أن نقف على أسرار كيفية تحول هذا الحيوان الناطق وخروجه من حيوانيته حتى استقام كائنا مكتمل الأوصاف في الوجود ، فإن الهندسة الوراثية والنانوية* والمعلوماتية تجعلنا على أرضية غير مألوفة ([1]). ما يعني أن سيرورة النشوء

([1])مجموعة مؤلفين ،يورغن هابرماس ،العقلانية التواصلية في ظل الرهان الاتيقي،في نقد العلموي و الديني و السياسي،ابن النديم للنشر و التوزيع،الجزائر،ط1،2013،ص ص97،98

* خلال العقود القليلة الماضية ازداد فهمنا لجزيئات مقياس النانو بفضل عدد من العلماء المتميزين في مجالات الأحياء و الفيزياء والكيمياء . و من ناحية أخرى فإن تقنية النانو مازالت في مراحلها المبكرة ، و لكنها مفتاح مهم لصناعة مستقبلية مهمة و جديدة ، و قد أمكن بإنشاء المبادرة الوطنية لتقنية النانو (NNI) تحقيق زيادة ملحوظة في التقدم الذي تشهده هذه المجالات التي سبق ذكرها . و لتحقيق ذلك فمن المطلوب تحقيق ثلاثة أهداف أولها : أن قلب التقنية لابد له من تطور من خلال قدرتنا على إمكانية رؤية و التقاط و وضع و ملاعبة أو مراقبة و تحديد خصائص جسيمات النانو بدرجة عالية من الدقة . أما الهدف الثاني ، فإن علينا أن نقيم تقنيات التصنيع لكي يكون من الممكن

تحقيق التكامل المنظم بين منتجات النانو و غيرها من المنتجات ذات المقاييس الأكبر مع زيادة المحتوى المعلوماتي الكامن داخل الهياكل المركبة و =آخر الأهداف أو الخطوات التي يجب القيام بها من أجل قيام صناعة المنتجات النانونية التي سوف تنتج عن القدرات التي ستظهر من خلال السلوكيات التي تنشأ عن استخدامات منتجات مقياس النانو

مراقبة الجزيئات و التلاعب بها : من المتوقع أن يشتمل الاستخدام الميكروسكوبي – الوظيفي للجزيئات تطبيقات تتعلق بدراسة خصائصها الطبيعية ، كما أن استغلال المميزات التي تشتملها الخواص التي تتميز بها جسيمات النانو الحاجة إلى مراقبة هذه الجسيمات و التلاعب بها بنجاح للتعرف على مواقعها و خصائصها ، فمثلا ، يمكن استخدام =النظام ذاتي التجميع في عمليات التصنيع من القاع إلى القمة ، كما أن الاندماج بين علم الأحياء و تقنية النانو لن ينتج فقط من خلال الابتكارات التقنية ، و إنما سيشجع الأبحاث المستقبلية في اتجاه النظم النانونية الحيوية الطبيعية .

و تحتم التقنية الحالية القدرة على تغيير شكل الجزيئات المنفردة مثل البروتينات و الحامض النووي DNA ، و من المعروف أن جزيء الحامض النووي DNA هو عبارة عن سلسلة طويلة في حجم النانو تسبح داخل انسياب أو تدفق لزج يشد جزيء الحامض النووي DNA من المكان اللولبي منذ في وضع اتزان بين الأجهاد المؤثر عبر طول الجزيء و لشد الجزيء الحامض النووي قام Wong و فريقه العلمي عام 2003 بتصميم قنوات دقيقة تحتوي على مائع و حاجزين لتوجيه الانسياب بحيث تغطي المائع الذي ينساب فيه الحامض النووي ، و جعله مشطورا في داخلها "على شكل سندوتش" ، و قد أثبتت هذه الطريقة المميزات التي نتجت عن معرفة أن معدلات استطالة سلسلة الحامض النووي تعتمد على معدل الانسياب في الجزء الخارجي من الحاجز ، حيث تتم تدنية تأثير الانسياب في المنطقة المركزية من الحامض النووي ، كما أن بطء عمليات الخلط التي تحدث في الانسياب تمكن من إمكانية التحكم و التلاعب بجزيء الحامض النووي DNA المنفرد و تأثير درجات الحرارة على حركة انتقال الحامض النووي DNA أو تحوله . و بالرغم من أن صناعة التقنيات النانو تعتبر في مرحلة مبكرة و سريعة التقدم ، و أن وجود خريطة طريق منتظمة للتقدم ، تؤكد أن المستقبل واعد إلى حد كبير . إن تحقيق ما ينتظر من آمال لهذه الصناعة ، سوف يحدث تأثيرات قوية على الجنس البشري ، فمثلا تحقيق ىمال متعلقة بدراسات الحامض النووي و أشكال التشخيص المتعلقة به ، سوف يفتح طريق العبور إلى إمكانية تصميم الأدوية معتادة يتم بيعها للأفراد طبقا لخريطتهم الجينية . إن تحقيق هذلا القدر من الآمال قد يخدم أداء دورين : أولهما أن تقنية النانو قد تعطي صورة محددة للصناعة مليئة بالرؤى للعقود

القادمة ، و ثانيهما أن الفوائد الحقيقية للجنس البشري سوف تتحقق من خلال نضج هذا النوع من التقنية الذي يكون حينئذ قد تحقق . و على أي حال فإن الوصول إلى هذه النقطة من خريطة الطريق تتطلب منا العمل بعمق في مجالات رئيسية عديدة ، كانت قد تم التخطيط لها من قبل تحديد خواص الحامض النووي ، و على سبيل المثال فإن Meller etalقد قام عام 2000 بمراقبة و ملاعبة المقاومة الكهربائية من خلال قناة X-hemolysin من أجل التوصل إلى معلومات عن التركيب الخلويالحامض النووي : إن العائد من وراء استخدام جسيمات النانو في التطبيقات العملية ذات المنفعة الكبيرة ، سوف يتمثل في إمكانية تحديد الخواص اعتمادا على التركيب و البناء على سبيل المثال ، ميزة الحصول على معلومات عن التكوين ثلاثي الأبعاد للجزيئات ، و كذلك معرفة الآليات التي تتحكم في سلوكها ، و أمكن استخدام هذه المعلومات باعتبارها أساسا للتقدم الحالي للأجهزة و المعدات الحالية ، و ذلك اعتمادا على البحث المتعلق بالجزيئات الحيوية الذي قام به فريق (Ho et al) عام 2004 و عملا على تحقيق تحسين في الظروف البشرية من خلال تقنية النانو ، فإن البحث واسع النطاق في الحامض النووي DNA سيؤدي إلى فهم واسع للمعلومات المجهولة أو المطمورة التي تنظم الظروف البشرية ، و تحكم علاقات الجسم. البشري رسم أكواد الخريطة الجينية البشرية كجزء من مشروع الجينوم البشري.قد استغرق هذا الرسم سنوات ، و بناء على ما تم التوصل إليه ، و مع التحسن الذي طرأ =على التقنيات المستخدمة و التواصل السريع للتعرف على الحامض النووي للفرد ،قد قام عام 2000 بمراقبة و ملاعبة المقاومة الكهربائية من خلال قناة X-hemolysin أدى إلى احتمالات قوية و واعدة في مجالات صيانة و علاج الصحي و طرق توصيل الدواء إلى مكان المرض و مع التقدير الكامل للتكوين و البناء ، فإن إحدى الطرق الرائدة التي ساهمت في =استخدام المسام التي في مقياس النانو كانت تستهدف تحديد خصائص الحامض النووي ، و على سبيل المثال فإن Meller etal من أجل التوصل إلى معلومات عن التركيب الخلوي و تأثير درجات الحرارة على حركة انتقال الحامض النووي DNA أو تحوله . و بالرغم من أن صناعة التقنيات النانو تعتبر في مرحلة مبكرة و سريعة التقدم ، و أن وجود خريطة , طريق منتظمة للتقدم ، تؤكد أن المستقبل واعد إلى حد كبير . إن تحقيق ما ينتظر من آمال لهذه الصناعة ، سوف يحدث تأثيرات قوية على الجنس البشري ، فمثلا تحقيق ىمال متعلقة بدراسات الحامض النوويDNA .

و أشكال التشخيص المتعلقة به ، سوف يفتح طريق العبور إلى إمكانية تصميم الأدوية معتادة يتم بيعها للأفراد طبقا لخريطتهم الجينية . إن تحقيق هذلا القدر من الآمال قد يخدم أداء دورين : أولهما أن تقنية النانو قد تعطي صورة محددة

والإرتقاء ما زالت على قدم وساق من حولنا وغير مكتملة ما دام عبق الإنسان والتحديات التي تنظره مستمرين في هذا الكوكب .

فهي وحدها اليوم من لها القدرة أن تكون صمام أمان له أمام الطبيعة المتقلبة والأمراض والفيروسات التي تتربص به ، وتمده بانطلاقة جديدة.

. وهو ما يؤكد هذه الفرضية بشكل وثيق إن الإنسان سيصبح كأي إنتاج حيواني مصنع في الوجود ، نظرا لما توفره جميع التقنيات الجديدة التي تحيط بانتاجه اليوم ، واهمها :

أ- تقنية التخصيب الإصطناعي (Artificial insemination) :

أصبح من الممكن حاليا دعم الأزواج الذين يتعذر عليهم تحقيق التخصيص لأسباب عديدة من خلال تقنية ايداع في عنق الرحم أو بوقه ، حوين لمساعدة طبية في الحمل ، سواء تمت بمني الزوج أو بمني مانح آخر ، في هذه الحالة يعتبر الطفل في نظر الفقهاء ناتج عن علاقة غير شرعية([2])، وللإشارة لقد شنت ألم انيا ما بعد الحرب عدة قوانين

للصناعة مليئة بالرؤى للعقود القادمة ، و ثانيهما أن الفوائد الحقيقية للجنس البشري سوف تتحقق من خلال نضج هذا النوع من التقنية الذي يكون حينئذ قد تحقق . و على أي حال فإن الوصول إلى هذه النقطة من خريطة الطريق تتطلب منا العمل بعمق في مجالات رئيسية عديدة ، كانت قد تم التخطيط لها من قبل.(لين فوستر،تقنية النانو، ترجمة,مصطفى مصطفى

موسى دار المريخ للنشر,الرياض,المملكة العربية السعودية2009, ،ص ص324،325,)

([2]) مجموعة باحثين ، مرجع سابق ، ص 98 .

وسياسات لأخلقة علم الأياء ، بشأن القتل الرحيم والأمومة البديلة ، وبشأن الإخصاب في المختبر والتجريب على البشر والتلاعب بالولادة .

ففي عام 1990 أعلن البرلمان الألماني عن قانون حماية الأجنة ، الذي يمنع منعا باتا التعامل مع الأجنة البشرية التي لا تخدم الجنين ، وعندما أعلنت بريطانيا عام 2000 ، أنظمتها اللبرالية اتجاه البحث الجيني أدان الزعماء الألمان هذا القرار بشدة واصفين إياه بأنه ليس أبعد شئنا " من أكل لحوم البشر " ([3]).

ب-عمليات الزرع بالأنبوب (Fertilization) :

تقنية تمكن من تحقيق التخصيب ، وهي تشير إلى عملية الجمع بين الحوين و البويضة و البدايات الأولى لنمو الجنين .ويتم بعد ذلك تحويل الجنين إلى رحم الأنثى ,ويمكن التمييز بين طريقتين :الأولى تقليدية تخص الجمع بين الحوين و البويضة .([4])

,اما الثانية فهي عملية زرع الحيمن مباشرة في البويضة بطريقة مجهرية , وهي طريقة تستخدم خاصة في حالات العقم الحاد الذي يصيب الذكر.

ج- تشخيص الجنين (Préimplantatoire diagnosis)

وهي طريقة تمكن من معرفة الخصائص الوراثية لجنين عند التخصيب بتقنية أطفال اللأنابيب ,بحيث لا يغرس الحوي في رحم الانثى الا اذا تـأكد أنه لا يحمل تشوها

([3]) Erik Brawn,The Dilemmas of German Bioetics ,The New Atlantis , A journal o f Technology and society, 2004, p.39

([4])مجموعة باحثين ، يورغن هابرماس العقلانية التواصلية في ظل الرهان الإتيقي ، مرجع سابق الذكر،ص 98.

ما في الصبغيات أو يخمل أمراضا وراثية خطيرة ,وهي طريقة تمكن الزوجين من عدم نقل أمراض معدية أو وراثية لأبنائهم ,وهو ما لا يرخص به القانون إلا لضرورة قصوى([5])

د-إمكانية تأجير وكراء بطون حوامل:

ويمكن إضافة أصناف شتى من التقنيات الجديدة كإعادة إنتاجه كالمعالجة الخلوية، أي عبر تخصير يتم من خلال خلايا حية، قد تكون في أصلها حيوانية أو إنسانية يتم تعريضها ل (انتقاء، تكاثر،...) الغرض من ذلك أن تحوي مواد علاجية؟ قبل أن يحقن بها الجسم، كما تصلح هذه التقنية أيضا لتحويل مواد وراثية. فيما تظل المعالجة الجينية الوراثية في طور التجريب واضعة نصب أهدافها تصحيح إعوجاج أو تشوه جنين أو عدة جينات- مورثات – منعا لحدوث عيب في الخلق أو الإصابة بأمراض وراثية خطيرة ومزمنة.

([5]) المرجع نفسه ص98 .

ه- استعمال تقنية الأرحام الاصطناعية محل الأرحام الطبيعية :

عموما سنظطر إلى إستعمال هذه التقنيات ، لذلك من الواجب الإجتهاد فمن منا لا يرغب في أن يخلف أطفالا مستوفون جميع شروط الكمال البدني والذهني ومن هي الأم التي ستمتنع عن استبدال خلايا وراثية مريضة بأخرى سليمة، إذا كان أفق استعمال ذلك ميسرا وبأجر زهيد.

الأمر اللافت هنا هو أن الأمر متعلق أساسا بالمرأة ، إذ هي محل هذه التجارب*،وقد كتب ريتشارد ليونتين في كتابه حلم الجينوم مبحثا كاملا عنونه النساء في "مواجهة علماء البيولوجيا "([1])

إن التطورات الحاصلة في مجال الهندسة الجينية والاستنساخ الطبي، يطرح معه مسألة إنتاج أعضاء وخلايا وأنسجة الإنسان كقطع غيار، واحتمال إنتاج وصنع الإنسان – دون مولد([2])على طريقة شبيهة بقصة فرنكنشتاين ، فهي مشكلة تتعلق بالتفريق بين أمرين

([1])ريتشارد ليونتين ، حلم الجينوم وأوهام أخرى ، ترجمة ، أحمد مستجير و فاطمة نصر ، المنظمة العربية للترجمة بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2003.،ص07,

([2]) المرجع السابق،ص100.

*إن الحقلين النسوي و البيوإتيقي يتشابهان في العديد من المظاهر بالرغم من تنوع التفكير و المقاربات المختلفة فإنهما يمتلكان قائما مشتركا داخل النقاط المختلفة للرأي التي تخصّ النسوية نجد محاورا مشتركة مثل : الالتزام للنساء و الاعتراف بأن الجنس يلعب دورا هاما في تنظيم العديد من المجتمعات كإدراك دور المرأة في مجال الإنجاب و التي تعد أساسية بالنسبة لمركزها الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي ، و أن النساء بطريقة غير صائبة يعاملن في بعض أو ككل المجتمعات بطريقة موازية ، أما اتخاذ المواقع في البيوإتيقا فذلك عائد للمنفعة البديهية لتلك الأسئلة الإيتيقية التي تنتمي للمجال الطبي ، بالرغم من نقاط التباعد العديدة ثمة توافق حتى يتمكن كل مريض من المعالجة مع الاحترام.

ثمة تقاطع بين التخصصين البيوإتيقا و النسوية لوجود المنظرين و المطبقين الذين درسوا البيوإتيقا بمقاربات نسوية و أيضا النسويين الذين ركزوا جهودهم حول الأسئلة البيوإتيقية هو في الأصل تقاطع مرئي كالإنجاب مثلا و الإجهاض و الولادة و استعمال للمبادئ الإنجابية و مشاكل الرحم الظئر ، وبالتالي فإن الأسئلة التي تلامس الإنجاب مخصوصة في الواقع بالنساء ، فهنّ خصوصا المسند إليهن سياسات الإنجاب لأسباب بيولوجية و اجتماعية (مدة الحمل الوضع) كلها تنجز أو تنتج في جسد المرأة (مجموعة من المؤلفين ، الفلسفة و النسوية ، الأكادمين العرب ،ص 207 – 208).و هذه الأخيرة يجب أن تقبل و تتقبّل المسؤوليات الملقاة على عاتقها و المتجزئة إلى حدود تعليم أطفالها .

نحن إزاء إتيقا للسياسات الإنجابية فالالتزام بإتباع مقاربة نسوية التي تلتحق بكل أبعاد البيوإتيقا هي حديثة ، إنه فقط في عام 1992 ظهر أول كتابين يعالجان البيوإتيقا النسوية "هولمس و بيردي (1992)" و "شاروين (1992)" ، و حديثا المؤلفات ل" بيردي 1996 " و "وولف 1996" و "تونق 1997 " و "شاروينوآل 1998 " .

لقد ظهرت البيوإتيقا النسوية مثل فرع داخل حقل متسع معروف بالإتيقا النسوية ، و اللفظ "إتيقا النسوية" يعود لاتجاه إتيقي يلتزم فيه بإدخال الأسئلة و التحليلات النسوية في طريقة معالجته أو وصوله للأسئلة الأخلاقية ما يمكن أن نترجمه إلى الانتباه للتجارب و قيم النساء و بعض المنظرين سيحددون أو يعرّفون الإتيقا النسوية بإتيقا العلاج .

=ملاحظة تعود إلى ما هو أساسي في الإنهمام الأخلاقي أو الاهتمام بالأخلاق ، بالإضافة إلى العلاقة البيشخصية نفس هؤلاء المنظرين يرفضون المقاربات الإيتيقية القديمة التي تحمل مبادئ كونية مجردة و لا شخصية .

فالإيتيقا النسوية تتميز بالرغبة في دراسة أسئلة الهيمنة و الاضطهاد و أيضا التسلط و الأولوية عكس المنظرين للإتيقا التقليدية التي تجتاح الأسئلة السياسية لمجال الإيتيقا. يمكننا أن نرى بعض المساهمات الكبرى التي أدلى بها البيوإتيقيون النسويون بامتحانهم لمختلف مستويات الحوار أين يناقش سؤال الإتيقا . ككل البيوإتيقيون النسويون يبحثون لتحويل أكبر عدد ممكن من التطبيقات و معظمهم يريدون تطوير المحاور المقترحة أو التي وقع اقتراحها و آخرون ساهموا في إقحام مجهودات لغاية توسيع حقل مجال وجهات النظر المعترف بها في البيوإتيقا و أيضا مثل تنقيح بعض المقترحات و إعادة درس الألفاظ و المناهج المرتبطة بالنشاطات البيوإتيقية عارضين بعض المثل لكل نوع ،والأكثر وضوحا هي الطريقة التي يغير بها المنظرون النسويون المواضيع المعتادة في البيوإتيقا بتقديمهم لاستراتيجيات و مفاهيم الإتيقا النسوية مثلا النسويون يريدون التأكيد أن المقترحات الجديدة المعنية بنسق الصحّة تعنى بالعوامل الجديدة للبيوإتيقا ، هذه العوامل تضع في الاعتبار نماذج الاضطهاد المرتبطة بالجنس و أيضا العرق و المستوى الاجتماعي و الجنسانية و السن و الإعاقة . فقط و في مجال التدخلات الطبية الأسئلة تلمس الإنجاب و الإجهاض و تقنيات الإنجاب حيث نجد الالتزام الأنثوي الأكثر أمية ، فالمقاربات اللانسوية و التي تعنون هذه الأسئلة لها هدف تحليلها انطلاقا من مبدأ قداسة الحياة البشرية أو الالتزام العام نحو الاستقلالية الشخصية ، إلا أن هذه المقاربة تحاول أن تحل الأسئلة البيوإتيقية حسب مبادئ مجردة و كونية.إنالحوارات النسوية تحشد لتفسير حرية الإنجاب و اللات لهن حس مرهف لحرية اجتماعية للنساء و التي هي في علاقة مع الرقابة مع النساء للإنجاب ، العديد من المنظرين النسويون يرفضون عزل الأسئلة المتعلقة بالإجهاض و تقنيات الإنجاب في سياق إمكان ظهورها ، فلهن إصرار على امتحان الطرق التي يؤثر تطبيقها على دور و منزلة النساء في المجتمع باعتبار أن بعض المجموعات النسائية يمكنها أن تتأثر بشكل مختلف (المرجع السابق ، ص 209 – 210 .)، تقدم الآفاق النسوية في الأبحاث الكلينيكية حول الكائن البشري في الآداب اللانسوية و لكن ثمة اتفاق فيما يخص حاجات القواعد الإتيقية التي تحمي الأفراد من الاستغلال و من سوء المعاملة منفعة خاصة تواجهها المجموعات الأكثر ضعفا مثل الأطفال و الأشخاص في المؤسسات الذين يعانون من

الإعاقة ،الإتيقيون النسويون يؤكدون على أن يكون عضوا من مجموعة مظلومة ينبغي أن تحفظ هذه المجموعة من سوء المعاملة التجريبية ، في الآن نفسه الكثير من النسويين يرفضوم النموذج التاريخي الذي يوجه البحث العلاجي نحو الأعضاء المميزين من المجتمع ، إلا أن في أجندة البحث هذه نلاحظ دائما وجود متدخلين يأخذون القرارات باسم المريض و الجماعات المهمشين. تتراكم قائمة المخاوف في مجال معقّد كالأثانوزيا (الموت الرحيم) و الأطباء المساعدين على الانتحار ، عودة الوعي النسوي تظهر مختلف الطرق التي يمكن للنساء أن تتأثر بها عندما ترمم السياسات مثلا : السياسات التي تمنع الأشخاص أصحاب الأمراض الخطيرة أن يضعوا حدا لأيامهم أو حياتهم يجب أن تعترف بأن هؤلاء الأشخاص يسقطون على كاهل الأخصائيين الاجتماعيين و الأعضاء النسوية من العائلة يعني أن الاختيار لإطالة حياتهم يصبح عبئا إضافيا للعديد من النساء.وفي الواقع إن الحياة تظلم من كانت قيمته وضيعة في المجتمع و ذلك ما يصيّرهم ضعفاء لكل سياسة ليبرالية للموت الرحيم (الأثنوزيا) تجاه تعقيد كهذا لم يتفق بعد النسويون.(المرجع نفسه ، ص 211), بينما البيوغتيقا النسوية ليست مقتضبة في الأسئلة الأخلاقية التي لم تنشأ بعد ، يمكن أن تعرّف برغبة في إطالة قائمة الأسئلة التي تضطر أن توجهها إلى داخل حقل البيوإتيقا مثلا المعايير التي تواجه تطبيق الجراحة التجميلية ، هذا الشكل من الجراحة الباهض الثمن و الخطر يحاول إعادة النساء موافقة للمعايير الاصطناعية و بعيدة المنال للجمال النسوي. الحجج المعتادة الكامنة وراء الموافقة على بعض الجراحات لا تعي التأثيرات و آثار المساومة على الاستقلالية المتأثرة بثقافة تواصل القول للنساء أن علامات العمر و الحمل لا تطاق ، فالتفكير العقلاني يظهر حججا فقيرة للاستقلالية ، عند الحالات الظالمة التي تفرض أن النساء تتبادل حظوظها في النجاح في العمل و في الحب ضد صحتهم الخاصة كأن تحمل امرأة جنين ابنتها و الأمثلة عديدة حتى في الجراحة التجميلية استعمال جلدة ميت لتحسين التشويه الخلقي في الوجه لدى النساء.وإلى حد الآن وحدهم البيوإتيقيون النسويون من اعتبر أن الموضوع يستحق حوارا جادا بمعنى أكثر اتساعا ، النسويون يساعدوننا على النظر لضرورة استجواب نظريات الجسد الموجهة حسب الآفاق الطبية وجهة النظر العلمية أو الصحية للجسد لها توجه استبعادي لمعالجة الجسد و أعضائه بطريقة منفصلة عن الشخص الذي يحياه (يحي جسده) الطب يعلمنا أن الجسد يجب أن يكون موضوع مراقبة و استفسار باستمرار في علامات الغزارة ، الاجتياح أو القطيعة و نشخصها من طرف خبراء على فترات منتظمة ، لأن السلطة الصحية معتمدة حتى نعرف أجسادنا أفضل.،ونحن في حالة اعتماد لهذه السلطات سلطاتهم هي اجتماعية معززة بالعديد من الطرق ، هذا الحكم النهائي في القضية من الإجازات المرضية و غيرها من الفوائد الصحية للمرضى البيوإتيقيون النسويون يرون أن الحوار جدي و ذو مشكلة أخلاقية ، فهذه الأسئلة الابستيمولوجية و ذات السلطة الاجتماعية للمشاكل الأخرى تصبح بديهية عندما تطرح بأفق البيوإتيقا النسوية. إن الاضطهادات الخفية التي تحكم القيم و التي تعالج المعاملات السيئة أثرت على المنظرين لتطوير النظريات النسوية حول الموضوع (كتاب فاندال 1996) ، بينما أعاد آخرون =طرح حوار المشاكل الاجتماعية الوراثية (All lippman dans skerwinet 1998) و آخرون نسويون يؤكدون على أن نختبر البنية الهرمية لنسق الصحة.(المرجع السابق ، ص 211 – 212) , بالإضافة إلى إرادة توزيع رزنامة البيوإتيقا التي وجدت ، فالبيوإتيقا النسوية تشجع تطور الآفاق الملتزمة ، و هذه الأخيرة قد نقدت بالخصوص آداب البيوإتيقية التقليدي و التي تلامس على وجه الحصر المشاكل الإتيقية المثارة من طرف الأطباء و إداريو الصحة على النقيض من ذلك النسويون يحاولون الاقتراب من الأسئلة للأشخاص الأقل حظا مثل المرضى و المجموعات الأخرى لفريق العلاج أو العناية : أصدقاء العائلة المرضى و أولئك البعيدين عن نسق المساعدة للصحة (مثل أولئك الذين ينقصهم موارد مالية لمعالجة صحية) ، بينما البعض يتم توجيه أمواله نحو خدمات متخصصة للمحظوظين إن الإتيقا النسوية تقيم تميزا مختلف الآفاق و البحث لتوسيع نطاق النقاش البيوإتيقي بطريقة جوهرية.، ثمة

آداب بيوإتيقية هامشية مرتبط بمجال الصحة عدا الطب ، هذا الأدب متطور في الشخص المعالج : إتيقا الأشخاص المعاقين تبرز خصوصية عملهم المستقلة عن الأطباء بالتأكيد أن الانتباه مركز أكثر على الرعاية أو العلاج عوض الشفاء و أن هذه الوظيفة دائما ما تعطي للمرأة و المفاجئ أن الإتيقا العلاج رحب بها في عالم الإتيقا. بينما العمل في إتيقا العلاج ليس فقط نسوي لأن تحليله ليس له نوع خاص و اهتماماته لا تحمل حول الأشكال الأخرى من الظلم و الاعتراف بالإسهام النسوي المستقل في هذا المجال الذي يواصل تكريس الصور النمطية المعنية بالقواعد الجنسية (و الاضطهاد و المعاملة السيئة) إتيقا الرعاية أو العلاج النسوي عندما لا يقيم الالتزام النظري تجاه المسؤولية التقليدية للمرأة كما هي علاج و لكن كنقد لا لتوقعات .وعموما المقاربة النسوية في البيوإتيقا ترفض الهرمية التقليدية للبنية الطبية و خصوصا تبحث عن تعزيز بنيات تمكن الرمضى من أن يصبحوا مشتركين فاعلين في تطبيق العلاج بما في ذلك التطبيقات البيوإتيقية مع مراقبة حول اختيار الخدمات المتاحة و الطريقة التي يقدمونها ، مثلا النسويون يطالبون بتعريفات جديدة ، اما بالنسبة للمعايير الصحية للصحة و المرض و الإنجاب و التقدم في السن فيقترح الطب دورا متواضعا لدعم و تعزيز الصحة. النسوية تشجعنا لطرح سؤال موجه للتعريف الطبي و طرح مشاكل الصحة و تعتمد كليا على الفرد المثال البيوطبي للصحة و القصور سيصبح دائما ضروري لتوفير خدمات الصحة للأفراد لكن العديد من النسويات تأكدن على أن سياسة الصحة تلتحق بالأفق الأرحب ، فآثار العنف المحلية للحمل الغير المرغوب فيه و سوء التغذية تعود للفقر و تستوجب تدخل مناسب لكل وضعية ، هذه الوضعيات تطالب بنهاية التطبيقات الغير منصفة و التغيرات في المواقف الاجتماعية .(المرجع السابق ، ص 212 – 213) الطبيب يشجعنا لرؤية الجانب الشخصي و ليس البعد السياسي التي يواجهه المريض الذي يعاني من صعوبات الأمراض النفسية على غرار العقم أو النقص أو السرطان أو العمر المتقدم ، عادة البيوإتيقا تعيد إنتاج المقاربة الطبية مطالبة : ماذا يريد المريض لغاية إيجاد العلاج الصحي الخاص به ، على النقيض من ذلك البيوإتيقا السوية تطرح الأسئلة حول السياق الذي ينتمي إليه المشكل المحدد . إن الأسئلة الاجتماعية و السياسية يمكن أن تكون أساسية حتى نجد المقاربة الصحية و البيوإتيقية الكافية لوضعية خاصة ، مثلا سرطان الثدي لا يمكن أن نعتبره مثل مرض مأساوي الذي يؤثر على الملايين من النساء و لكن كواقع تراجيدي مرتفع بعض الحقائق تحملنا لطرح سؤال دور المحيط في تطور هذا المرض ما وراء البحث في العلاج تلك هي الاستراتيجيات السياسية المشار إليها. و تقدم البيوإتيقا النسوية دائما آليات منهجية و مفهومية و الكثير من النسوية يرفضون التفرقة بين الحقيقة و القيمة بين النظري و التطبيقي ، هذا التميز يمكن أن يظهر كمرفوض و متعد للحدود الاصطناعية بين التنظير الأكاديمي و النشاط الاجتماعي. إعادة تفسير للمفاهيم المفاتيح في البيوإتيقا هي أيضا مطلوبة على سبيل المثال السلبية و التبعية و استعماله يديم الافتراض الغير مقبول حول طبيعة العلاقة بين أصحاب المصلحة الصحية و أولئك المطالبون بالعلاج ، و يمكن تبديلها مثلا ب "مستهلك" أو "حريف" و التي تثير مشكلات التغيرات المرتبطة بسوق العمل التي بإمكانها أن تؤثر على العلاقات مع المتدخلين في الصحة.(المرجع نفسه ، ص 213 – 214) يعد المجهود النسوي في الإتيقا العلائقية بتوفير زخم من النماذج للعديد من أنواع العلاقات بين هؤلاء المرضى و المتدخلين في الصحة : العديد من النسويين اقترحوا تفسيرات مختلفة و تطبيق مبدأ العدالة لغاية الالتحاق بكل الجوانب اللاعادلة و المتأصلة في الظلم ، النسوية تتعارض مع هدف أو نزعة البيوإتيقيين اللانسويين الذين يختزلون الأسئلة في العدالة في مادة الصحة إلى توزيع عادل للموارد الصحية ، مقاربة كهذه تحجب الأشكال الأخرى للظلم التي تمس أعضاء المجتمع الذين هم ضعفاء تجاه المرض ، فالتحاليل النسوية تذكرنا أن دور الفقر هو مؤشر في مستوى الصحة على التأكيد أن هذه الأخيرة هي حالة النساء و الأطفال في الأقلية المرئية للأشخاص المعاقين و كبار السن ، و المناقشات البيوإتيقية المعنية بسياسة العلاج و الصحة يجب أن تكون أكثر شعورا لأسئلة : الجنس و العرق و العمر

اثنين " بين معرفة مم تصنع الأشياء ومعرفة كيف تخلق وتنابل ، يتغلغل في مجال العلم كله

رغم ذلك يظل مصدرا لتشوش البيولوجيين الإختزالين . المشكلة هي أننا ، في نفس عملنا لتحديد ما تصنع منه الأشياء نقوم بتمزيقها إلى قطع صغيرة ، بأساليب تدمر ذات العلاقات التي قد تشكل الجوهر "([1]).

لنتساءل : أليس طريق تحسين الإستقلالية الذاتية بواسطة التحول الذاتي وراثيا للنوع البشري، يجعلنا نتابع في نفس الوقت عملية " هدم الفهم المعياري الذاتي الذي يوجه حياة الأفراد بنوع من الاحترام ما بينهم ؟ " ([2]) .

و المستوى الاجتماعي ، العدل لا يتطلب فقط توزيعا عادلا للأسرة (مثل ما هو الشأن في النقاشات القديمة التقليدية) ، و لكن يجب في البداية أن تشجع الصحة التغيرات يجب أن تشمل مثلا : التغذية و السكن اللائق و المحيط ضد التأثيرات السامة و العنف و تنمية احترام الذات و الوصول إلى التعليم الصحة ، هذا التوجه يعني انتقالا للأهداف الحالية للخدمات الصحية و البيوإتيقية التي تبتعد عن المداخلات التي تسعى أولا للصحة . المنظّرون النسويون يثيرون الحاجة لإعادة مراجعة التفسيرات القديمة لمفهوم الاستقلالية مؤكدين على أن واقع بعض القواعد القديمة تجهل آثار الخداع للحالات الاجتماعية الظالمة ، فالعديد من النسويين يرفضون التوجه الفرداني الكامن وراء القواعد الأكثر اشتراكية للاستقلالية . إجمالا البيوإتيقا النسوية تحمل في طياتها إسهاما في =حقل البيوإتيقا الشاسع بتقديمها للتفكير النسوي ، إنها تغير محتوى الموضوع و كل مستويات التحليل مركزه على ملائمة الأبعاد الاجتماعية و السياسية للمشاكل المدروسة البيوإيتيقيون النسويون يثيرون و يعمقون النقاشات البيوإتيقية بطرق مختلفة.

ختاما مستقبل الفلسفة النسوية ليس فقط في مجال البيوإتيقا و إنما في كل المجالات و الذي ينبغي أن يكون هو مستقبل الفلسفة ، ولكننا لن نكون منحازين كما انحاز الجنس الذكوري و حكم على الجنس الآخر بالدونية . نطالب بإزالة الفروق و البحث في المواضيع المستقبلية للفلسفة الكونية نصرة للإنسان المضطهد سواء كان ذكر أم أنثى و تحقيقا لكرامته جنوبا و شمالا غنيا و فقيرا.(المرجع السابق ، ص 214 – 215)

([1])ريتشارد ليونتين،حلم الجينوم و اوهام أخرى ،ص 112 .

([2]) المرجع نفسه،ص100.

زيادة على ذلك، هل ما توفره علوم البيولوجيا الجزيئية والهندسة الوراثية ينذر بتحول عميق في أسس المجتمعات البشرية؟ وهل يؤدي التدخل في الجينات إلى تغيير فهمنا الذاتي كنوع حيواني، وهو تغيير قد يمس الأسس المعيارية للاندماج الاجتماعي ؟

و" في موضوع جسيم يتناول استمرار النوع البشري وإمكانية تحسين النسل وتعديل طاقم الإنسان الوراثي سواء علاجية أو بغاية الحفاظ عليه من أخطار الأوبئة والكوارث الطبيعية والأمراض والجراثيم... تكشف المدرسة النقدية التواصلية أيضا، مخاطر أن تقع البحوث العلمية فريسة حسابات الربح والخسارة ومنطق السوق، فضلا عن الوقوف في وجه التقدم العلمي باسم الحفاظ على طبيعة الإنسانية التي يزعم البعض أنها قارة وثابتة حتى تحت تأثير التهويمات السحرية والغيبية التي تقدم كتفسير للظواهر الطبيعية والبيولوجية " ([1]).

إن المعرفة قوة لكن القوة يمكن ان تكون للشر كما للخير، فهذا التفسير يستفحل آثاره حين يتمادى الإنسان في هروبه من الواقع مطالبا باستعادة الماضي أو بحثا عن سكينة ضائعة في بحر لجي.فادا اجتمعت المعرفة و الكفاية مع الطيش فان التحقق من البقاء يصبح غير ممكن وقد اشار **برتراند راسل B.RUSSEL** إلى هذا الأمر قائلا "بصورة عامة نجد أنفسنا وسط سياق بين مهارات الانسان بالنسبة للوسائل و طيشه بالنسبة للغايات،ان اي زيادة مطلوبة في المهارات لتحقيق اي قدر من الطيش هي زيادة

([1]) المرجع السابق ص 100 .

للأسوأ.وقد إستمر السباق الإنساني حتى الآن بسبب الجهل و عدم الكفاية"([1]) ، فلقد إكتوت الفلسفة الألمانية بنير الفكر المحافظ والرومانطيقي للحياة، ولم تسلم أحيانا العلوم الاجتماعية والنفسية والفلسفة من العداء والمنع. هذا في الوقت الذي لم يستطيع دعاة العلم والتقدم أن يفلحوا في التبشير بالجنة الموعودة وانقلبت العديد من الفتوحات العلمية إلى خطر كاسر يهدد حياة البشرية برمتها([2]).

يحذر هابرماس من الاستهزاء الحاصل بالقول:" إذا كان لعلم الوراثة و للمحيط أهمية متوازية بالنسبة إلى ما يشكل السمات الخاصة بنا حاليا، فإن محاولة تعديل واحد منهما هي محاولة أيا كان أصلها ، تستحق فحصا دقيقا ، علينا التعاطي مع هذين النمطين من التعديلات بطريقة متشابهة ، فالحجة لا تستقيم إلا بتواز لا يخلو من الشكل يقوم على تبسيط الفوارق بين ما ينمو طبيعيا و ما هو مفبرك بين ما هو ذاتي و ما هو موضوعي" . ولذلك، إن النقد الذي تمارسه المدرسة التواصلية النقدية يتوجه في نفس الوقت للنزعات المحافظة وللنزعات العلموية معتبرة أن إنسانية الإنسان مهددة فعليا وعلميا، بمعنى أن الإنسان أصبح مهددا ككائن بيولوجي، ما دام قد تشيأ العقل والسلعة تصنمت. مما يجعل الانتكاسة التي أصابت العقل عنوانا عريضا على انحسار العقل وسلطته بدعوى البراغماتية والنجاعة والمردودية.

([1])برتراند راسل،اثر العلم في المجتمع،ترجمة،صباح صديق الدملوجيالمنظمة العربية للترجمة،بيروتلبنان ،ط الأولى 2008 ،ص 136.

([2]) يورغن هابرماس ، مستقبل الطبيعة الإنسانية ، مرجع سابق ، ص 63 .

لكن ليس المهم هنا كيل الاتهامات لتيارات الأفكار إذ تظل المعرفة العلمية مهما كانت عبقريتها مجرد حلقة في سلسلة تاريخ الإنسانية الطويل.

إننا اليوم نشهد تغيرا جذريا ولم يعد العلم يهتم بالموضوع العيني فحسب، كما لم تعد الفيزياء والكيمياء .وحدهما من يرفع شعار فهم العالم وظواهره ، إننا اليوم نقف أمام عصر السحر التقني وبواكره تكشف أن حياتنا الحالية ستغدوا أشبه بحياة البدائيين ([1])

إهتزت كثير من القناعات من خلال إمكانية التدخل في الطاقم الوراثي –الجينوم– وإمكانية إنتاج أعضاء بيولوجية من خلال تقنيات الزرع والحواضن الطبية وبالتالي إمكانية تربية حظائر بشرية بنفس الشكل الذي تربى فيه دواجن في حظائر حيوانية بحيث يرى هابرماس أن التلاعبات القائمة على تغييرشكل الجينوم البشري بهدف فك رموزه و تطلعات بعض علماء الوراثة بهدف إمكانية معالجتهم التطور ، كل ذلك من شأنه محو الفوارق الحادة بين الذاتي و الموضوعي ، بينما ينمو طبيعيا ، و ما هو مصنوع في أماكن لم تكن حتى الآن تحت تصرفنا ([2]) ، فخطر التقنية هو في أنها توهمنا بخصبنا و قدرتنا على الإبداع و نحن بذلك على سبيل التوهم فحسب توهمنا بأن المدن و المنشآت ملك لنا ، مع أن آخرين يعرفون استعمالها([3])

([1]) يحيى البيطاط ،" النانوأو صولجان الساحر الجديد " ، مجلة دبي الثقافية ، العدد 67 ديسمبر 2010 . ص 50 .

([2]) يورغن هابرماس، المرجع السابق ، ص 55.

([3]) بيار بودو ، نيتشه مفتتا ، ترجمة،اسامة الحاج:المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع،بيروت،لبنان،،ط 1، 1996 ،ص13

إنه لمن المحال انكار ما للتقنيات خاصة منها الطبية من فضل على حياة البشر , و يتم ذلك اليوم تحت ستار من الغايات النبيلة كالحصول على خلايا جذعية جنينية لإصلاح خلايا وراثية مريضة ومعالجة تشوهات، بالإضافة إلى تأمين قدر كافي من الاحتياطي في النسج البشرية ميتة الدماغ لاستعمالها عند الحاجة، فضلا عن إمتلاك خطوط خلوية تنتج أعضاء وقطع غيار عضوية للتعويض عن حالات التلف أو الحوادث... فضلا عن طرح البعض لاستنساخ أنسجة وخلايا وأعضاء، يبلغ به الإنسان شأوا لم يحصل له من ذي قبل. لكن ذلك لا يبدو من دون نتائج وعقابيل تتفاوت نسب تفاعلات وتداعيات عليه وعلى محيطه ومستقبليه([1])

"إن الحياة في الفراغ الاخلاقي ،وسط شكل حياة لا تعرف حتى معنى الكلبية الاخلاقية,هي حياة لا تستحق ان تعاش"([2])

ليست هذه الحجة بذاتها حجة أخلاقية، لكنها تستند الى شروط تحفظا لفهم الاخلاقي للذات، طالما هي تدافع من اجل فهم للذات من وجهة نظر اخلاقية النوع، قهم للذات لا ينسجم مع حد أعلى ،ومع أذاتية كاملة للحياة ما قبل الشخصية.

تقدم لنا تحليلات هابرماس تمييزا بين المثل الأخلاقية العليا و التعلق بالصور الأداتية للحياة ،وهي ذات مستوي أدنى بالنسبة لأخلاق الجنس البشري.

([1]) يورغن هابرماس ، مرجع سابق ، ص55 .

([2])المرجع نفسه، ص115 .

يرى البعض أنه إلى غاية اللحظة الحالية كان الفكر الإنساني سليل عصر الأنوار يعتبر أن الحمولة الوراثية الخاصة بأي وليد مسلمة طبيعية، حقائقها ثابتة لا تتبدل، بحيث تحدد تلك المكونات العضوية سيرته الذاتية في ما بعد. بل اعتبرت هذه المكونات على الدوام في منأى عن تدخل من أي كان، وبمأمن عن أي برمجة أو تحوير وتعديل بالقصد أو عن غير قصد إذ كان المعني بالأمر وحده عندما يشب عن الطوق ويكتمل بلوغه، من يحق له أو بحوزته إمكانية إخضاع تاريخ حياته الشخصي لمراجعة نقدية إذا أراد تغيير مسار حياته([1]).

غير "أن الهندسة الوراثية بعامة وهندسة تحسين النسل بخاصة، قلبت هذه الحقيقة رأسا على عقب بل اصطحبت معها إمكانية توالد لا جنسية أي غير طبيعية، وأصبح الاستنساخ أو "الاستبسال بالإضافة إلى الأرحام الاصطناعية" كصناعة إنسانية واردة. ثم إن إمكانية استنساخ إنسان وصناعة قطع غيار بيولوجية بالتقسيط أو بالجملة، لا تحمل معها تبدلا في عضويته وحلول عوارض قد تؤثر على طبيعته وتحدث عليها تغيرات جسيمة فحسب بل من الممكن جدا أن تعمل الهندسة الوراثية بفضل اندماجها مع المعلوماتية "برمجية" ذهنية الإنسان بفضل غرس رقاقات إلكترونية في دماغه، على نحو تغدوا معه ذهنيه مسبقة الصنع ومحددة في المواصفات كما فعل ألدوس هكسلي في رائعته

([1])المرجع السابق ، ص 102 .

أحسن العوالم ! وجيل فيرن في الكثير روائعه الخيالية التي أصبحت حقائق مألوفة !" ([1])

.

إن الفلسفة قادرة أكثر من غيرها على دراسة تداعيات وتحليلات هذه القفزات التقنية السريعة وتحيط الإحاطة الكاملة بها معرفيا ، عقلانيا ، ومنهجيا .

ان هابرماس بصدد تأكيد هذه المعطيات. للفلسفة بعدا تقدميا ايجابيا،يكمن في سيكولوجية النقد([2])

وبذلك ليس هناك من منطق مقبول لدى الفلاسفة لكي يتخلوا لعلماء الإحياء (البيولوجيا) وعلماء الهندسة الوراثية المتحمسين بالخيال العلمي، عن هذا الموضوع الذي أثار كثيرا من الجدل . فآثاره كالحرب يستحيل أن توكل مهمتها للعسكريين فحسب.

"إن التحولات المنتظرة ستحمل معها بدون شك تغيرات جديدة ونوعية في حياة الإنسان المعاصرة ويزيد في تعقيداتها الخوف من المجهول وغير المتوقع، لذلك يبدأ هابرماس بطرح سؤال أساسي يطرح فيه آثار التقنيات الإحيائية على القيم الإنسانية. ونحن هنا أمام بين شد وجذب بين من يرى أن تلك القيم التي ورثناها عن عصر الأنوار ما زالت صالحة، بينما هناك من يرى أنها قد أصبحت متآكلة أو قاب قوسين أو أدنى من ذلك، وبالتالي ترى : " هل ما زلنا نريد أن نفهم ذواتنا ككائنات معيارية، أي ككائنات

([1]) المرجع نفسه ، ص102 .

([2]) Alain ,idée,introduction a la philosophie,ed,flamarion,paris,2000,p267

تنتظر تضامنا مسؤولا من بعضها البعض، واحتراما متساويا من قبل البعض اتجاه البعض الآخر ؟"([1])

وفي خضم ردود الأفعال العنيفة التي طبعت أحيانا الرأي العام حول قضايا حساسة، بين مناصرين ومدافعين عنها ، بحيث أصبح المشرع ذاته عاجزا أن يساير وتيرة الأشياء في هذا المجال ، وإن فعل فإن ذلك مجرد استشراف وحسب يقول هابرماس "بات لدينا و منذ البداية ، و بخصوص الإنسان ككائن نوعي ، العديد من المفاهيم المتضاربة ، و تمثلات الإنسان الطبيعية سواء عبر عنها بلغة الفيزياء أو علم الأعصاب أو بيولوجيا التطور ، هي تأملات تتضارب منذ مدة مع الصور الكلاسيكية عن الإنسان التي جرى التعبير عنها بواسطة الدين أو الميتافيزيقا ، إن المواجهة حول مبادئ قد سبق و حصلت حول نظرة مستقبلية طبيعية تراهن على التوسيع التلقائي التكنولوجي (الفوضوية) ، و حول تصورات أنتروبولوجية تحترم على قاعدة الطبيعية الضعيفة أفكار الداروينية الجديدة (بشكل عام الحالة الحالية في البحث العلمي) . دون أن يعني ذلك الالتصاق بعلموية تختصر الفهم الذي يكونه عن أنفسهم الأشخاص القادرون عن الكلام و على الفعل، و الذين يقدرون البراهين ، أو دون تجاوز فهمهم لذواتهم عبر اية بنائية ، بالرغم من أن موقع التأملات التي تعبر عن أخلاقيات الجنس البشري هو على مستوى عال من التعميم ، فهي تتقاسم مع التأملات الأخلاقية – الوجودية عند الأفراد كما مع التأملات الأخلاقية السياسية عند الأمم . الإحالة إلى سياق حياة خاص ، يمكن في كل

([1])المرجع السابق ص 103 .

الحالات تحصيله عبر التأويل ، هنا أيضا يظل البحث المعرفي ، اي كيفية البحث مع الأخذ بالحسبان معرافنا الأنتروبولوجية عن فهم أنفسنا كنماذج من النوع الإنساني نتيجة للتأمل القيمي ، إذ علينا التفكر بالطريقة التي نريد أن نفهم بها أنفسنا "([1])

زيادة على ما سبق ذكره فإن تأثير الفتوحات العلمية الجديدة ، قد إنعكس تأثيره على رجال السياسة ليجدو أنسهم في موقع تشريع ما يتفق ومكونات مجتمعاتهم ومعاييرها.

إن تاريخ القرن البعشرين يعطينا لمحة رائعة يمكن الإحتداء بها كمثال بالغ الأهمية في موضوعنا هذا الذي نحن بصدده ، وفي سبيل تحليل شديد الدقة يمكن القول بأن العلماء كغيرهم من الشخصيات العامة نجدهم يقارنون أنفسهم وأعمالهم بمعالم الماضي الثقافية والتاريخية ، فقد شهدت البيولوجيا الجزيئية واقعتين تباهت بهما أمام مرآة التاريخ ،إستخدمت الأولة كناية " الثورة " ، وهذا أمر يميز كل مجال نام جديد يعد بحل مشاكل مهمة استعصت على الأساليب الثراثية الأقدم ([2]).

فقد كان واضحا أن السبب الذي جعل روزفلت في عجلة من أمره بعد النجاح الفوري للألمان في بولندا هو الحرص أن لا تستخدم القنبلة الذرية من قبل الألمان ، لكن السبب في إحساس كلينتون بالعجلة غير واضح . والإجابة حول القلق الدائر لدى كلينتون وبقية الناس هي في أن خطرالغطرسة البشرية أصبح قائما بشكل أكثر من أي وقت مضى

([1]) يورغن هابرماس ، مستقبل الطبيعة الإنسانية ،ص 114 .
([2]) ريتشارد ليونتين ، حلم الجينوم وأوهام أخرى ، ص 130 .

، الأمر الذي أقحم الدولة في قضايا متعلقة بالقرار الشخصي للأفراد ([1]).إذ تدرك اللجنة الإستشارية الأمريكية للأخلاقيات البيولوجية* جيدا خطأ الحتمية الوراثية ، ويكرس تقريرها صفحات عديدة لمناقشة عاقلة وتلميحية للفرق بين الهوية الوراثية والهوية الشخصية ، لكن على الرغم من ذلك تمضي تصر على قضية ما إذا كان الإستنساخ ينتهك الهوية النوعية المتفردة للإنسان([2]) .

إن محاولة رجال السياسة والدين تقنين حركة غير قارة ومتسارعة، ولعل محاولة اللجان المختصة والخبراء مساعدتهم في هذا الباب أطلقت العفاريت من قمقمها والأرواح من أجداثها ليطال التحليل ما كان في عداد التحريم. ما حذا بالرئيس الألماني جوهانس راو في 18 ماي/ أيار 2001 أن يصرح : " إن من سيبدأ ولو مرة واحدة بإخضاع حياة الإنسان للأداتية أو ذلك الذي سيبدأ بالتمييز بين ما هو جدير بالحياة وما هو غير جدير بها، سيسير في طريق ليس له نهاية"([3]) .

إن هابرماس يستشهد بخطاب رئيس الجمهورية الفيدرالية الألمانية، ففي نظره يستبطن بامتياز القلق الدئر لدى الساسة والتعقيدات التي تميز علم الجينوم ، هذا الذي يجعل تطبيق جميع التدخلات ممكنة ولو لدوافع وقائية أو علاجية "سيؤدي إلى أن نقع في

([1]) المرجع نفسه ، ص ص، 156 ،157 بتصرف .

*لجنة أسسها كلينتون في اليوم الموالي لظهور النعجة دوللي سنة 1997 .

([2]) المرجع نفسه ، ص 259 .

([3]) مجموعة باحثين ، يورغن هابرماس العقلانية التواصلية في ظل الرهان الإتيقي ، مرجع سابق الذكر ، ص 104 .

المحظور تلقائيا. وهو من دون شك بحسب المراقبين أمر ضروري يؤدي إلى التمييز بين التعديل الإيجابي (وهو أصلا غير مبرر وغير قابل للتبرير) والتعديل السلبي (فرضيته مبررة، بغاية معالجة الأمراض الوراثية المزمنة). غير أن تلك الحدود يبين هابرماس تتأرجح على الدوام وغير ثابتة كالرمال المتحركة في تخوم الصحراء"([1]).

والحال أنه " بالقياس إلى منطق نظري وتطبيقي، تظل حدود هذا الفصل متأرجحة فالأولوية التي كانت تهدف إلى عدم السماح بالتدخل الوراثي في مستويات يجعل المساس بها في وضع تحسين للخصائص الوراثية للنسل، تضعنا أمام مفارقة تحدي هائلة، لأننا سنضع أنفسنا أصلا في ميدان ليس له حدود معروفة ومحددة، بل حدوده متغيرة ولا يعرف حتى العلماء الوقوف عند أحد منها([2]).

يحلل هابرماس واقع ما وصلت إليه الرؤية الثقافية للإنسان المعاصر من تشيئ وما يترتب عن ذلك من نتائج وخيمة على الصعيد الأخلاقي في الحدود غدت غير مستقرة بين الطبيعة والثقافة بين الطبيعي العضوي والعضوي المصنع.

والحق الذي لا مراء فيه إن الحدود بين مجال الاستنساخ العلاجي والاستنساخ بغاية إعادة إنتاج كيفما كانت تبريراتها، غير واضحة بالمرة وهو الشيء نفسه الذي يلحق تحسين النسل علاجيا وبدافع أسباب طبية محضة وتحسين النسل الذي يخضع لتوجيهات السوق والليبرالية السائدة مثل زرع الشعر والجراحة التجميلية... إلخ .

([1]) المرجع السابق ، ص105 .

([2]) المرجع السابق ، ص 105 .

إن هابرماس يرى ضرورة وقف التدخلات الجينية عند النقطة التي ينذر تجاوزها بتغيير الخصائص الوراثية وتحسينها على خلاف طبيعتها الأصلية. وذلك لأن تغيير في البنية العامة ينتج عنه تغيير في التجربة الأخلاقية([1]). اذ أن هذه التجربة تنموا وتتكون تدريجيا على مراحل خلال النمو في مجال محدد معين من ظروف البيئة الإجتماعية([2]) .

إننا مدعوون إلى فهم ذواتنا أنتروبولوجيا على ضوء أننا أعضاء من نوع معين ، وهذا يقودنا لسؤال كالتالي : كيف نحافظ على الفهم الأخلاقي المعياري في ظل تحول وراثي يرى الكثيرون فيه استقلالية ذاتية ؟

إنه بفضل التحكم في الطبيعة الراجع إلى تحصيل الموارد والثروات ، والذي تماشى جنبا إلى جنب وازدياد الرفاهية وحرية الإختيار.

إن العلم والتقنية اللبرالية يتغديان من بعضهما ، ويستثمران بعضهما ، وهو سر بقائهما ، ومن حسن الحظ أن نمو التصنيع في الغرب تزامن مع نمو الديمقراطية، ومن الواضح أيضا أن العلم أصدر خدمة جليلة للتقدم الطبي([3]).

" لذلك إن النقاشات الجارية حول طبيعة الخطوط الحمراء التي لا يجب تخطيها أو تلك التي تم تخطيها أو في الطريق إلى ذلك... لن تصل إلى نهاية ما بحسب هابرماس، لأن ذلك يسير ضد المسار الذي تتجه نحوه المجتمعات الإنسانية مجتمع الحريات وتوسعها

([1]) المرجع نفسه، ص 106 .

([2]) مجموعة باحثين ، علم الإجتماع والوراثة ، المكتب العالمي للبحوث ، بيروت للطباعة والنشر 1983 ص 43 .

([3]) برتراند راسل ، أثر العلم في المجتمع ،. ص 121 بتصرف .

وتناميها "([1])، فهل يعني ذلك إننا مقبلون لا محال على تحسين النسل وفق أسس قانون العقود والمعاملات الليبرالية – ما دمنا نعيش عصرها بامتياز ؟

إن المجتمعات المعاصرة متشبثة أكثر من ذي قبل تعددها السياسي والثقافي. وهو في نظرهابرماس صمام أمان أمام مخاطر التنميط الجارية بقبضة من حديد وبأس شديد من طرف العولمة، لكن المخاوف تبقى دوما رغم سمفونية التعددية الثقافية ، وهنالك عدة أسماء في الساحة الفكرية تدافع عن مبدأ تخليق الطبيعة الإنسانية أي إعادة السكة إلى مجراها الصحيح بعيدا عن خطر المنحذر التقني الرهيب فنحن نعيش عصرا تقنوخرافي.

ومع ذلك ينبهنا هابرماس حول هاته النقطة بالذات، مشيرا بأنه لم يتم الوصول منذ علمنة المجتمع الحديث إلى أي اتفاق حول الوضع الأخلاقي للحياة الإنسانية في بدايتها المبكرة في الرحم ([2]).

إن الجنين بالنسبة للبعض مجرد مجموعة من الخلايا منزوعة الإحساس والشعور في هذه المرحلة. بالمقابل يرى للبعض الآخر بأنه البداية الحقيقة للحياة الإنسانية ودونه خرط القتاد. مما يطرح بحدة، هل تبدأ هاته الأخيرة بعد الولادة أم بمجرد التخصيب أي منذ الوقت الذي تبدأ تتشكل ملامح كائن بيولوجي محدد بانتمائه للنوع الإنساني([3]).

إن الكرامة الإنسانية ليست ملكا للطبيعة ، فهابرماس يفصل بين ما هو أخلاقي وبين ما هو طبيعي ، فهذه الكرامة ينظر إليها من وجهة نظر أخلاقية وقانونية تبعا

([1]) مجموعة باحثين ، يورغن هابرماس العقلانية التواصلية في ظل الرهان الإيتيقي ، مرجع سابق ، ص 108 .

([2]) المرجع نفسه ، ص 109 .

([3]) المرجع السابق ، ص 109.

لعلاقات اجتماعية متبادلة بين أعضاء جماعة يتشاركون جملة من المعايير من الحقوق والواجبات ، لأن الأخلاق متجدرة في المجتمع لا الطبيعة ، وفي نفس السياق " بامكاننا الوصول إلى تسويات منصفة إلا إذا تعلم الأشخاص المعنيون كيف يقرون أيض اموقف منظورات الآخرين، والعملية المناسبة لتحقيق هذا المقصد يتمثل في المفهوم التشاوري للتكوين الديمقراطي للإرادة "([1]) .

ومن ثم يبقى هذا المجال مجال الجنين في مرحلته المبكرة يتوزع بين رؤية ميتافيزيقية تمتح أسسها من الديانات التوحيدية ورؤية مضادة قائمة على النزعة الطبيعية في تفسيرها للأشياء.

لقد دشن دوركايم طريقا طويلا حين أسس امكانية علم التربية إضافة إلى ما قام به علماء السسيولوجيا التفاعلية أمثال جورج زيمل .ورغم خلاف هاذين الإثنين حيث يقول الأول بالظغط الإجتماعي كمحرك رئيس في ما يرتئي الثاني صيرورة المجتمع([2]).

([1]) كمال بومنير ، قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت ، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى 2012 ، ص 159 .نقلا عن

Jürgen Habermas ,Entre naturalisme et religion , traduit de l'allemand par Christian Bouchindhomme et Alexandre dupeyrix , paris , Gallimard 2008 , pp 177-182.

([2]) فيليب كابان وجان فرانسوا دورتيه ، علم الإجتماع ، من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية ، ترجمة إياس حسن ، دار الفرقد ، سوريا 2010 ، ص 72 بتصرف .

* الإعتراف هو قبل كل شيئ " اعتراف متبادل " بين ذاتين أو وعيين . فهو بالأحرى " تعارف " يتجاوز المعرفة البسيطة حول الشرط الإنساني للآخر . عندما نكتب مفردة "الإعتراف" بالفرنسية Reconnaissance فإننا نلاحظ عنصرين في المفردة : البادئة Re التي تفيد التكرار ومقولة connaissance وهي المعرفة .

فهل الإعتراف على الصعيد اللغوي والإشتقاقي هو معرفة تكرارية للآخر أو بالأحرى معرفة غير مكتملة حول الغيرية ؟ إنه السؤال الفلسفي الأول حول الإعتراف بوصفه معرفة ناقصة وغير مكتملة لأن " الآخر سر" كما يقول جاك دريدا

إن " الذات الفردية لا تظهر من دون الوسيلة الاجتماعية لكي تتحقق خارجيا ولا يمكن أن تستقر إلا في إطار من شبكة علاقات الاعتراف* " الاجتماعية". إذ من " داخل هذه الشبكة من العلاقات المعترف بها شرعيا والمقننة، يمكن للذوات تنمية وتطوير والمحافظة على الهوية الشخصية – وفي الوقت على سلامتها البدنية.

وهو ما يعني إن الفردانية (تحقق الفرد ذاتيا) كسيرورة اجتماعية، تتمثل في تاريخ حياة مرتبط بعالم متداخل ويجمع بين مختلف الذوات الاجتماعية، بحيث يتجلى ذلك في عالم جماعة لغوية تكفل للكائن الطبيعي أن يشكل كفرد وكشخص معقلن.

ثانيا: الإستنساخ البشري بين المؤيدين والمعارضين :

يميل علماء الوراثة إلى أن يعزوا معظم الاختلافات في الجنس البشري إلى الاختلافات في الطبيعة ، أي الوراثة ، في حين نجد أن علماء دراسة البيئة يميلون إلى أن يعزوا هذه الاختلافات إلى التغذية ، أي إلى المحيط و البيئة ([1]).

و ليس هناك حد فاصل و واضح بين الصفات الوراثية الأصل ، و الصفات البيئية الأصل ، و ما زالت كل الصفات في الواقع ، بيئية و وراثية في الأصل معا ، و

. فالإعتراف به ممكن وهو المعرفة ولكن الإحاطة به مستحيلة لأنه يتعذر الولوج في قصدياته المتعالية ، الإعتراف هو قبول الغير كآخر يتعذر اختزاله . عندما أقول "أعترف" فإنني لا أؤكد فقط بأنني "أعرف" ولكن أيضا بأنني "أقبل"الغير .(محمد شوقي الزين ، الإزاحة والإحتمال ، منشورات الإختلاف ، الطبعة الأولى 2008 ص126)

([1]) مجموعة باحثين ، علم الإجتماع والوراثة ، ص 12 .

إن الرفض القائل بأن الصفات النفسية (السيكولوجية) للإنسان ، معرضة للتأثر بالوراثة ، إنما هو فرض يتفق تماما مع الحرية الفردية، و مع المثل الديمقراطية([1]) .

الطبيعة "الوراثة" أو الغذاء "المحيط" ، هو العامل الأهم في تكوين القابلية و الاستعداد للإصابة بمرض ما ، أو تكوين صفة الذكاء ، أو الصفات الشخصية أو الروح الإجرامية ...

و الجواب الذي قد ينطبق على مجموعة معينة من الناس قد لا يصح انطباقه على مجموعة أخرى ، ما دامت الاختلاف الوراثية و البيئية ليست متجانسة في مختلف المجموعات ، فقد لوحظ أن معدل الذكاء في محيط ما تباينت فيه الثقافة و الأمور الاقتصادية ، قد تداخلت فيه عناصر البيئة أكثر منها نسبيا في بيئة أخرى تجانست فيها هذه الأمور([2]) .

لقد بيّن "داروين" أن الإنسان ما هو إلا ناتج من نتائج التطور العضوي ، و أن له صلة القرابة بالأحياء جميعا ، و من ذلك الحين أصبحت أعمال علماء الحياة توضح أن إمكانية الوراثة متشابها في الإنسان و بقية الكائنات التي تتكاثر جنسيا ، و هي كذلك مشابهة لتلك التي في الكائنات الحية الأخرى ، حتى في أبسط أنواع الجراثيم ، إلا أنها تظهر واضحة في الإنسان أكثر من غيره ، نتيجة للتطور الحيوي ، و لذلك فإن أحد العلماء يميل إلى التأكيد على أن الإنسان هو الناتج الوحيد من نوعه للتطور العضوي . و

([1]) المرجع نفسه ، ص 15 .
([2]) المرجع السابق، ص 34 .

لعل عزل الإنسان عن غيره من الأحياء ، و إعطاءه مركزا خاصا لا يقل أهمية و فائدة عن البحث في الرابطة بينه و بين هذه الأحياء ، فهو الوحيد بين الأحياء الذي يتمتع بالقدرة على التفكير . أن الجينات ليس لها أن تحدد مكونات الحضارة و تفاصيلها ، مع أنها قادرة على توليد الاستعداد لتكوين الحضارة لدى البشر ، لكنها لا تكفي لنشوء الحضارة و نموها و توجيهها([1])

إذ أن الحضارة تحكمها قواعد الرفض و الاستقبال التي تتخلى من خلالها الحضارة على جزء من ماضيها لتبني مستقبلها.([2])

فالفرد يتدرب استجابة لبيئته بحيث لا يخرج عن مجاوريه ، أو يشد عنهم و هذا لا يعني أن الطفل الحديث الولادة يتمتع بقدرة الاستجابة لتلك المؤثرات عامة .

و إن من المعقول أن تتأثر شخصية الفرد و تصرفاته و اختيار مهنته و انحرافاته و مسراته و عيوبه الجسمية ، و نقص تكوين بعض أعضائه ، و أخطاءه الناجمة عن تعرضه للأمراض التي يرجع البعض سببها إلى نقص في الجينات معروف ، إلا أن تأثير الوراثة على الشخصية واضح وضوح الشمس عند الأشخاص الذين هم في حالة طبيعية و المتمتعين بصحة حسنة . إن الشخصية تنمو و تتكون تدريجيا على مراحل,خلال النمو في مجال محدد معين من ظروف البيئة الاجتماعية و الثقافية.

([1]) المرجع نفسه ، ص ص 34 ، 35 .

([2])هيثم مزاحم،قواعد لغة الحضاوات للمؤرخ الفرنسي فرناند بروديل، مجلة التفاهم،بيروت، لبنان،ع2011،32 ،ص173

و تتجلى إنفرادية الإنسان من الناحية البيولوجية بطبيعته الوراثية القادرة على إيجاد نماذج تطورية واسعة في ظروف بيئية مختلفة ، فباستطاعة أي كان أن يؤدي أي واجب من الواجبات إذا ما تدرّب و مع هذا فلكي يتخصص الإنسان في عمل معين يحتاج إلى أمور أخرى ، فلقد وجد أن من بين الأنظمة الاجتماعية التي تقدر الاختلافات البشرية قدرها ، و تستفيد منها النظام الديمقراطي ، و هذه الميزة هي أهم فضائل هذا النظام التي كفلت بقاءه لكن هذا لا يعني الانتقال إلى الديمقراطية التوزيعية .

إن قضايا الإستنساخ تعتبر من قبل الكثير من الألمان من تبعيات الطب النازي ، والإنسان الأعلى ، التي من شأنها أن تحد من الكرامة الإنسانية ، إن التلاعب والسيطرة يتنافى مع شروط الحرية الإنسانية.

لقد ظهرت الكثير من الإنتقادات عقب خطاب سلوتلردايك ، إنها فاشية وراثية ، كما أن هناك قدر كبير من الغضب العام بشأن استخدام المصطلحات كالإنتخاب ، كلمات اختفت تقريبا من القاموس الفكري الألماني([1]).

وقد سبقت الإشارة في المبحث الثاني من الفصل الأول إلى ذلك النقاش الذي دار بين هابرماس وأبرز المؤيدين للنتائج التقانة الإحيائية وهو سلوتردايك ، "فقد وضع فوكوياما وسلوتردايك في سلة واحدة، فاليميني المحافظ يلتقي في هذا الموضوع مع أقصى دعاة التجديد. غير أن ذلك يخبرنا – هابرماس – ليس حبا في بعضهما البعض، بل

([1]) Erik Brawn,The Dilemmas of German Bioetics ,the new Atlantis , A journale of Techenology and Society , 2004 .P 38.

لأن حقائق التاريخ الموضوعية لا تتورع من جمع كل التجديف والشطحات الذاتية مهما اختلفت أسسها الفكرية في الظاهر لرميهما في قمامة التاريخ([1]).

إن ما يهم هابرماس هو كيفية مواجهة دعاة تطبيق الليبرالية في مجال الاستنساخ والولادة المبرمجة بخاصة عندما طرح عنونا فرعيا لكتابه " مستقبل الطبيعة الإنسانية " أردفه متسائلا، هل وضعنا " على طريق تحسين النسل ليبراليا ؟ " وهو ما يفرض جدلا كشف مكامن الضرر لكي يتبين للإنسان عناصر الضرر المعياري التي تلف بهاته الدعوة.

وبإيجاز إذا كان " المدافعون الليبراليون عن تحسين النسل يقومون بمقارنة بين التعديلات الجينية للطاقم الوراثي والتغيرات الاجتماعية التي تطال الطبائع والتطلعات، فلكي يبرهنوا من وجهة نظر أخلاقية عدم وجود ثمة اختلاف يستحق الذكر بين تحسين النسل والتربية (...). إذ تمكن هنا الحجة التي بواسطتها يريدون التوسيع من الوصاية التربوية للآباء التي تعتبر حقا أساسيا مضمونا لكي تشمل وتطال حرية تحسين النسل وتعديل الطاقم الوراثي لأطفالهم "([2])، وهي ذريعة جعلت أمثال سلوتردايك يؤيدون الطفرة الجينية لإعادة تربية الإنسان أنتروبولوجيا وبيولوجيا ، ويؤكد ريتشارد ليونتين : بأن البحث الجيني سيبلغ هذفه عاجلا أم آجلا ، يقول " أعتقد أن الوقت قد حان لكي نبدأ

([1]) مجموعة باحثين ، يورغن هابرماس،العقلانية التواصلية في ظل الرهان الاتيقي ، ص 111 .
([2])، المرجع نفسه ،ص ص 111 ، 112 .

التفكير في طريقة التحكم في هذه القدرة حتى نقلل من المخاوف القانونية والعلمية المشروعة ، أو نقضي عليها إن أمكن "([1])

وهو ما وقع فيه الفيلسوف الألماني بيتر سلوتردايك الذي يرى في تحسين النسل وسيلة الطفرة التكنومعلوماتية والهندسة الجينية لإعادة تربية الإنسان أنتروبولوجيا وبيولوجيا في مزارع وحدائق وحظائر بشرية. وإذا كانت التربية في هذا الباب لا تطرح اعتراضا عنده فإن التطابق المعقود بينهما وبين تحسين النسل يؤكد بالنسبة لهابرماس ظهور عدمية جديدة قوامها السقوط في فرضية "الإنسان الخارق" توكل ترجمته عمليا في الواقع إلى الهندسة الوراثية التي تنوب مناب الطبيعة في ذلك وبالقوة.

إن هابرماس يتوقف عند الرهانات الكبرى المتعلقة بتطور أبحاث الهندسة الوراثية وتداعياتها المستقبلية على الإنسان وطاقمه الوراثي. ومن ثم ينصرف هابرماس كليا لإحاطتنا بأخطار تعميم تقنيات تشخيص ما قبل الزرع الطبي Diagnostic préimplantatoire بوصفها تقنية انتقاء طبية للمواليد وكيفية تناسل جديدة، أهميتها اليوم مثل اكتشاف تقنية التصوير بواسطة الرنين المغناطيسي magnétic resonance Imaging التي كان لها الأثر الكبير في تصوير أغوار الجسم وأعضائه الداخلية غير المرئية. وهو ما يبرر العنوان الفرعي للكتاب " هل نتوجه نحو تحسين النسل ليبراليا ؟ " بهاته الفتوحات التقنية([2]).

([1]) ريتشارد ليونتين ، حلم الجينوم وأوهام أخرى ، ص 131 .

([2]) مجموعة باحثين ، يورغن هابرماس،العقلانية التواصلية في ظل الرهان الاتيقي ، ص 113 .

لقد بدى التيار الجارف للعلم المتشبع بالروح الداروينية حتميا ، إذ يقول ريتشارد ليونتين وهو أحد أتباع الداروينية الجديدة " لا يمكننا أن نسمح لأي عائق أن يقف في طريق تحكمنا الكامل في ظواهر الحياة ، من ثم تفهمنا لها . و أعتقد أنه سيصل إلى نفس هذا الرأي كل من يرى أن المشكلة الجوهرية للبحث العلمي تكمن في التحكم في الظواهر الطبيعية(...)أضف إلى ذلك أن مثل هذا التحكم كان هو هدف المشروع برمته : أعتقد أن العلم سيستفيد إذا أدرك شباب الباحثين أن التوالد الذاتي التجريبي هو هدف البيولوجيا ."([1]).

وقد عرض جاك مونود J . Monod في كتابه الصدفة والضرورة . مهمة تتعلق بتطور الإنسان مند العصور البدائية وربطه بالمشكل اللساني ، فحب جاك مونود فإن لغة الإنسان قد لعبت دورا هاما باعتبارها حدثا وحيدا في الفضاء الحيوي ، فقد أعتبر كل من كتابي الصدفة والضرورة ومنطق الكائن الحي كعلامة فجرت البحث البيولوجي الجزيئي([2]) ، مدعمة التحكم البيولوجي الذي أشرت إليه في الفقرة السابقة.

ينتبه بولي إلى المقارنة الصحفية المحتومة بين لوِب وفكتور فركنشتاين Victor Frank– enstien ، لكنه لم يأبه بالمشكلة التي يثيرها المثال الهندسي ، مشكلة العواقب غير المقصودة للبراغماتية التي تشكل الموضوع الرئيسي لرواية ماري شيلي* Mary Shelleyفرنكنشتاين أو بروميثيوس العصر الحديث .كان إهتمام شيلي وزوجها شديدا

([1]) ريتشارد ليونتين ، ، حلم الجينوم وأوهام أخرى ، ص 115 .

([2]) André Pichot , L'eugénisme , p 55.

وقلقهما عظيما من أداتية السير همفري دافي* Sir Humphry Davy ، أبرز العلماء الإنكليز وأكثرهم تأثيرا في أوائل القرن التاسع عشر .

كان ما كتبه دافي بعنوان " مقالة : مقدمة لمقرر من المحاظرات في الكيمياء " ، والذي قرأته ماري شيلي مباشرة قبل أن تبدأ روايتها فرنكنشتاين هو الذي أوحى إليها بشخصيتها الروائية " البروفسور وولدمان " ، معلم فرانكنشتاين ونموذجه([1]).

كان هدف العلم التجريبي هو التحكم في السلوك عن طريق المؤثرات الخارجية ، وليس بالأحرى عن طريق المؤثرات الخارجية ، وليس بالأحرى عن طريق برنامج " ميتافيزيقي " لتحليل الحالات الداخلية للكائن الحي .

---

* أما إذا كانت ماري شيلي قد استقصت فكرة " ومضة الحياة " من أشعار أوفيد عن خلق بروميثيوس للبشر من الطين – كما تقترح هي وآخرون – فسيظل موضع تساؤل . فإذا كانت الكاتبة قد إعتمدت على ترجمة الشاعر درايدن المبهرجة بما فيها من " جسيمات النار السماوية " و " الطاقة =الأثيرية " غير المبررة ، فسيكون الإقتراح معقولا . لكنا نعلم من يوميات شيلي أنها قد مضت بدأب تقرأ بعض أجزاء كتاب التحول باللاتنية ، وفيه يتحدث أوفيد فقط عن البذور التي قد تكون موجودة بالفعل في الطين . ريتشارد ليونتين ، حلم الجينوم وأوهام أخرى ، ص 117

* كان العمل العلمي لدافي سلسلة من أبحاث متنوعة في الكيمياء والبيولوجيا والفيزياء التطبيقية ، تقتضيها دائما الحاجات العملية . كان له كشوف في الكيمياء الزراعية ، كما اخترع مصباح دافي الذي وفر لعمال المناجم إضاءة آمنة في المناجم المليئة بالغازات ، وتفحص كهرباء سمك الطوبريد وتركيب مواد التلوين القديمة . كان النموذج الحق للعالم الحديث الشامل الذي يحل أسرار الطبيعة لصالح الحياة البشرية . لكن كتاباته الفلسفية في الكيمياء ، توضح التفهم عنده ، مثلما هو عند لوِب يعني التحكم ، دراسة العلم ثانوية بالنسبة إلى الحرفية .

كانت هذه البراغماتية اللانظرية هي خطأ فرنكنشتاين . في لحظة صدق أعمته ، اكتشف سرا واحدا عن كيفية خلق الحياة ، ثم " في ليلة موحشة من شهر نوفمبر" ، " جمعت آلات الحياة حولي كي أقوم بنفخ ومضة وجود في في ذلك الشيئ المجرد من الحياة الذي يرقد عند قدمي " (التشديد لي). صحيح أن شيلي لم تخبرنا ، لكن " آلات الحياة " كانت بالتأكيد هي جهاز التنمية الكهربائي الجلفاني ، الذي إستعملته ابن شقيق جالفاني في تجربة توضيحية على الملأ عام 1803 جعل فيها فك قاتل مشنوق يرتعد ، وقبضة يده تُطبق وعينه تُفتح . لكن التمكن من هذه الخدعة الوحيدة لا يشبه إلا المادة السرية لوصفة خيميائية التعويذة السرية لساحر ، يمكنها إستدعاء الأرواح من الأعماق السحيقة ، لكنها لا تستطيع أن تتحكم فيها ، فليس من يفهم طبيعتها الحقيقية .المرجع نفسه،ص116،117

([1]) ريتشارد ليونتين ، حلم الجينوم وأوهام أخرى ، ص 116 .

كان جون ب. ةواطسون ، مؤسس مذهب السلوكية ، واحدا من أتباع لوِب في شيكاغو . في في بيانه التأسيسي لمذهب السلوكية عام 1912 ، أعلن واطسون أن الهدف النظري لعلم النفس هو " التنبؤ بالسلوك والتحكم فيه ([1]) .

يقف الجنس البشري على عتبة عصر جديد ، على أهبة الإمساك بزمام قوة يسيطر بها على نفسه ، وعلى بيئته قوة من شأنها أن تغير كيانه وما يعنيه ما قد يهدد بزوال الحضارة المعهودة ، إن الكثير من المنجزات التقنية والعلمية التي شهدها القرن الماضي كصنع القنبلة الذرية أو ذهاب رجال إلى الفضاء ، تبدوا حوادث منعزلة ، لا تؤثر تأثيرا مباشرا في الحياة الإجتماعية البشرية ، كما أن الإنتصارات العلمية الأخرى خصوصا في مجال الطب كزرع الأعضاء (زرع القلب البشري ، الكلى ...) كلها على قدر كبير من الأهمية([2]) .

إن أي اضافات إلى سيطرة الإنسان على الطبيعة تشتمل على مشكلات علمية معقدة تتراءى لأكثرنا عديمة المعنى ، وذلك راجع إلى قصورنا عن تفهم قضايا العلمية ما يفقدنا الإهتمام بها ، وعدم تكويننا لوجهة نظر علمية أو فلسفية نستمد منها هذه الإختراعات لينسينا أمرها ، وهذا ما دفع هابرماس إلى القول بأن التفكير البشري لم يبلغ بعد عمق الأشياء ، مؤكدا بأن التعمق في التحليل يعد جد ضروري ([3])،

([1]) ريتشارد ليونتين ، المرجع السابق ، ص 117 .

([2]) سعيد محمد الحفار ،البيولوجيا ومصير الإنسان ، عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت 1984 ص 183 .

([3]) يورغن هابرماس ، مستقبل الطبيعة الإنسانية ، ص 33 .بتصرف .

وتظهر الحاجة إلى التوجيه ، إلى الرقابة ، إلى تطوير التربية بغية العمل على تهيئة الجيل القادر على الإستجابة للتغيير عن وعي لإنسانيته ولقيمه ، حتى يستطيع أن يحيا في المستقبل إنسانا بكامل إنسانيته . وقد يتطلب الأمر مقاييس جديدة لإتخاد القرار ، من قبل الأجهزة الإجتماعية والسياسية التي تتبنى سياسات وتمرسات حتى يكون بوسع التعليم والإقتصاد والأنظمة المحلية والدولية أن تتحول إلى أدوات اجتماعية يستطيع إنسان التكنولوجيا المعاصر بواسطتها أن يطور إدراكه الذاتي ، ويمارس سلطاته ، وذلك ، فإن الأقل وضوحا هو نوع من السياسات المعنية الأكثر ملاءمة لمعالجة الأزمة التي تمثلها الثورة العلمية التكنولوجية ، ثورة المجتمع الصناعي ، وهذا إلى حد ما يجب أن يكون ، طالما إن المستقبل سيبقى غامضا مادام الإنسان انسانا .

إن المتطلبات الكبرى للإنسان ليست هي تجاوز حدود نوعه ، بل تطويره التطوير التام ، وقد نستطيع أن نتكلم كلاما له معنى عن تطوره الأوفى نحو الأفضل إن هو احتفظ بهويته الأساسية([1]) .

يشير هابرماس إلى عنوان في أحد مباحث مؤلفه مستقبل الطبيعة الإنسانية على ضرورة تربية الإنسان المعاصر ، وفضل أن يطلق على جدار الأخلاق الإنساني بامارات أداتية النوع الذاتية ، بهذا الفهم ينظر إلى الذات البشرية من جانب التأملات التي لديها

([1]) سعيد محمد الحفار ، البيولوجيا ومصير الإنسان ، ص 184 .

كذات أخلاقية ، يقول هابرماس : " تشكل مفاهيمنا للحياة البشرية ما قبل الشحصية محيطا مثبتا من ناحية أخلاقية النوع ، إنه سياق ترصيع يجب عدم كسره "([1]).

والواقع ،ينطلق هابرماس بالفعل من إمكانيات البيوتكنولوجيا المتاحة ، بخاصة تلك التي تهم التدخل في الطبيعة البيولوجية للإنسان تعديلا أو تحويرا ،فمن شأن تدخل الآباء في اختيار الحمولة البيولوجية لأبنائهم أو تغييرها تعديلا أو إظافة ، خطورة كبيرة تنذر بالنسبة لزعيم مدرة فرانكفورت الثانية بعلاقات جديدة بين الأفراد ، لم تعرفها الإنسانية من ذي قبل ولا يمكن التكهن بتداعياتها.

وهوما يعني إن "اتخاذ قرار التدخل في الحمولة الطبيعية (البيولوجية) لشخص ما ، قراربطبيعة الحال لا يمكن مراجعته بعد اتخاذه .يتولد عنه شكل من علاقة غير معروفة بين الأشخاص إلى حد اليوم"([2])

والواقع إن هذه أسئلة ومخاوف مشروعة ، وهو ما يتوجس منه هابرماس بالفعل ، بخاصة ظهور علاقة غير متكافئة بين الأشخاص من جراء القدرة على البرمجة للطاقم الوراثي – جينيوم – الفرد ، وهو قد يشوه لا محالة علاقة الفرد بجسده وبالآخرين في ما بعد.

وفي هذه النقطة بالذات ، إن ما يميز النقد الذي يوجهه هابرماس ، كونه يستهدف بالنقد التعديل العلاجي الذي قد يجرى على الجنين وهو خال من عيب وراثي ، لذلك إن

([1]) يورغن هابرماس ، مستقبل الطبيعة الإنسانية ، ص 83 .

([2]) مجموعة باحثين ، يورغن هابرماس العقلانية التواصلية في ظل الرهان الإتيقي ، ص 114 .

ما ينتقده هابرماس بالفعل موجه للتشخيص الوراثي ما قبل الزرع الذي يهدف استعمال جنين من أجل شخص آخر ، أو البحث في الجنين ذاته ، وبالتالي إن منطق المعالجة الطبية باستعمال شخص ثان في طور التكوين إذا لم يتم تنظيمه وتقنينه بغاية عدم استعماله بمنطق الأداتية والحسابية يعني السقوط لا محالة في تحسين النسل وفق قواعد السوق. ولذلك ، فإن أحد نماذجه الشائعة اليوم كالتحسين من وظائف أعضاء بيولوجية والرفع من قدرات الإنسان العضوية والذهنية تمارس إغراءا كبيرا ، وهو أمر لا يمكن اللجوء إليه هابرماس دون الوقوع في المحظور .

وحتى نتبين بوجه الدقة ما يقصده هابرماس ب " تحسين النسل ليبراليا "، أي وفق رغبات مصطنعة وبحسب وبحسب حاجيات السوق ، لابد من الرجوع إلى مفاهيم الفيلسوف الفرنسي فرانسوا جاكوب الذي خاض في صناعة البيولوجيا التطورية بوصفها محطة التقاء وتعاون بين نشاطين : هناك النشاط الخاص بالحي من ناحية ،ومن ناحية أخرى هناك التدخل الذي يمده بقدرات وخصائص جديدة يتولد عنها نتائج لا يمكن التحكم بها .

وليس غريبا إن صناعة البيولوجيا التطورية وصنيعتها البيولوجية التقانية ينخرطان في المسار الذي اختطته البيولوجيا لنفسها مند عشرين سنة ، بحيث يتبين إن تلك الأدوات وأسس الصناعة البيوتقانية تبقى هي نفسها .فمن دون شك لهذا التقارب من الناحية الفلسفية مبرراته ومشروعيته وقد يجد مرجعه في ما يطلق عليه يورغن هابرماس "

السفسطة الطبيعية " التي من أهدافها اخضاع المعياري والقيمي والثقافي للبيولوجي والطبيعي والإصطناعي ، ومن ثم اللجوء إلى عامل الطبيعة لتغيير الإنسان عوض حصر هذا التغيير في ما يندرج في عالم الحرية وبالتالي في عالم الثقافة .

إن تحسين النسل من وجهة المنظور الليبرالي يقود بصفة موضوعية إلى إعتبار الكائن كموضوع يتم التدخل فيه بمواصفات معينة مرغوب فيها . غير أن هابرماس لا ينكر في هذا الباب من جهة أخرى ، وجود مقاربة طبية محض علاجية موجهة وفق منظور ذاتي ، ذات هي مبدأ كل معرفة وممارسة ، ذات هي كذلك علامة لصاحبها وبيان لحاملها فلا تكتفي بأن تعلن عن ما يميزها على الطبيعة بل تروض هذا العالم وتغزوه لكي تجعله بمختلف كائناته ومستويات ادراكه مقاسا بالمقياس الإنساني([1]) ، وعليه ينبه هابرماس إلى ضرورة الإستناد إلى شرعية طبية ، تشي بقبول المعالَج ومرافقته في المستقبل لأن يعلم بذلك التدخل الذي وقع لجيناته وهو ما يزال في طور التشكل حتئ يولد معافيا وسليم البنية مثلا لكن هذه الحالة يجب أن نميزها عن الحالة التي يتخذ فيها شخص آخر أو آخرون قرارا بالتدخل في البرمجة الوراثية (كالآباء)بحسب رغباتهم الذاتية حبا في جنس أو لون أو قدرة ذهنية. آنذاك سنجد أنفسنا في وضع من يدفع لإلغاء التمايز الموجود بين الطبيعي والثقافي ، أي أننا أمام محو للحدود التي تفصل بينهما ، حيث نكون أمام انسان صُنعي السمات والطبائع والخصائص...

---

(1) محمد الشيخ ، ياسر الطائي ، مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة ، دار الطليعة ، بيروت ، 1996 ، ص 12 .

إن تحسين النسل بدافع غير علاجي من المنظور الليبرالي سيخضع لقانون العرض والطلب الذي بدوره سيحفَّزبواسطة حاجيات السوق في هذا المجال ، وهو ما يهدد بحسب هابرماس " استقلالية السلوك في الحياة ويشوش الفهم الأخلاقي الذاتي للشخص المبرمج " في سوق الجينات.

علاوة على ذلك ، إن التدخل الوراثي لا مصداقية له إلا إذا كان الدافع هو مصلحة المعالَج ومن خلال منظوره الخاصبه . بحيث لا يمكن أن يخضع لتقييم غير ذلك ، ولا يمكن تبريره أيضا بحسب رغبات التحسين التي تخالج الآباء ، لأن ذلك مرتبط باشكالية كبرى : كيف سيكون عليه وعي الفرد الذي يدرك أنه مجرد مصنوع تمت قولبته بهذه الرغبة أو تلك ؟

وفي الحقيقة لا يمكن لأحد الإجابة على ذلك ، وليس الغرض هنا التخمين له أو التكهن به . فكل ما نود الإشارة إليه هو أن التدخل الوراثي يؤدي إلى علاقة غير متوازية في العلاقات الإجتماعية والأخلاقية ، ما دام الكائن المبرمج ليس شريكا للكائن المبرمج في الفضاء والتواصل والحرية والقرار . فضلا عن ذلك ، إن البرمجة الوراثية لا يمكن أن تسمح بتواصل سليم ولا يمكن أن تؤدي إلى تواصل عقلاني يصل بين محاور ومحَاور ، فهو طريق بدون رجعة ، يذهب في اتجاه وحيد .

إن هذه الوضعية شبيهة بالمستنسخ ، أو " التوأم المتأخر"كما يسميه هابرماس – الذي يتم التحكم في مستقبله من طرف من برمجه بهذا الشكل دون ذاك . لذلك يجب

الإقرار بأن تحسين وفق الرغبة الليبرالية (وهوغير تحسين النسل بغاية علاجية محضة) يمس بقدرة الفرد أن يتمثل ذاته بحرية أو أن يتحكم فيها كما يشاء ، فهو في هذا الوضع ، مستلب الإرادة لأنه لم يملك حرية الإختيار فيقدم عذرا عن هذه الرتابة التي هو فيها بالتالي اضفاء كاذب لهالة الإختيار الحر ([1]) . والقصد إن يتسبب فيه المنظور الليبرالي ظهور " أبوة" جديدة في المجتمع ، تمنع أي شكل من التغيير الإجتماعي والحراك الطبيعي في المجتمع وبين الأشخاص وبين الأجيال . كما إن هذه العلاقة غير المتوازية تصبح هي السائدة لدرجة تعجز معها أي سيرورة بيو سياسية أن تقلب موازينها .

لذلك يوصي هابرماس " بعدم القبول بممارسات تحسين النسل وبلا مشروعيتها في اطار مجتمع متعدد ديمقراطي ، يمنح فيه لكل مواطن حقا متساويا يسمح له باستقلالية التصرف في الحياة ، لأن انتقاء مواصفات مرغوب فيها قبليا ، لا يمكن فصله عن ما يسببه هذا الفعل من أضرار على مستويات محددة في الحياة "([2])

إن إنتقاء الأجنة يسبب أضرار بليغة ، وأي محاولة أخلاقية سياسية لتبرير تحسين النسل من المنظور الليبرالي غير ممكنة التحقيق بتاتا بالنسبة لهابرماس إذا كان الدافع مصلحة البشرية .

فبعدما كانت النزعة الإحيائية تعطي للشيء روحا، يحاول المجتمع الصناعي اليوم تحويل روح الإنسان إلى شيء، وفي انتظار التخطيط الشامل يمنح الجهاز الإقتصادي

([1]) فيل سليتر ، مدرسة فرانكفورت نشأتها ومقرها ، وجهة نظر ماركسية ، ترجمة خليل كلفت ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، الطبعة الثانية 2004 .

([2]) مجموعة باحثين ، يورغن هابرماس،العقلانية التواصلية في ظل الرهان الاتيقي، ص، 121 .

للسلع قيمة سلوك البشر([1]) ، وتستند تحفظاته على جملة الأخطار التي تدفع لتشيء الجنين وتحويله إلى أداة بواسطة تقنيات التشخيص الوراثي ما قبل الزرع وهي تقنية تعمد إلى انتقاء جنين لمعالجة مرض وراثي خطير بغاية زرع ذلك الجنين لولادة طفل يقدم خلايا أو أنسجة لطفل يتطابق معه ، بخاصة داخل نفس العائلة) مستوحاة من اعتبرات مشابهة .

لكن هابرماس يرحب بجميع تقنيات العلاج الوراثي التي لا تمر عبر استخدام جنين بغاية معالجة آخر ، ما دام الأفق الذي يوجه فلسفته النقدية الإجتماعية يقوم على احترام حرية الفرد أولا وأخيرا ، بحيث تمنع هذه الحرية أن يصبح الجنين محض أداة أو بغاية خدمة جنين آخر موجود أو أن يسخر لغاية أو رغبة معينة ينشدها الآباء . لذلك يجب أن لا نتعدى مطلقا حاجز الأداتية بأن نجعل الفرد الموضوع للبرمجة كقربان بغاية معالجة آخر وفصل الإنسان عن الوعي ، وتتحول الغايات التي يتمسك بها من أجل الحياة ، والتقدم الإجتماعي ، وتقدم كل القوى المادية والروحية ووعيه لذاته كل ذلك يؤول إلى العدم ([2])، فالإنسان مكرم لذاته وتحترم آدميته قبل كل شيئ.

عالة هذا التحسين أنه يأتي كاستجابة لحاجيات توافقت عليها البشرية كونيا ، بل لإرضاء لنرجسية متزايدة في مجتمعاتنا يتم استغلالها من طرف سوق رأسمالية، تخضع

([1]) محمد سبيلا ، عبد السلام بن عبد العالي ، العقلانية وانتقاداتها دفاتر فلسفية ، نصوص مختارة ، دارتوبقال للنشر ، الطبعة الأولى ، 2004، ص 30.

([2]) ماكس هوركهايمر ، ثيودور أدورنو ، جدل التنوير (شذرات فلسفية) ترجمة جورج كتورة ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، الطبعة الأولى ، 2006

لإعادة تنظيم من قبل القطاعات السياسية ، والإجتماعية وفق تعديل شروط الملكية أو التبادل السلعي ([1]) فتخلق بذلك عرضا بغرض تلبيته وتُكيف الأذواق وتخلق الحاجيات بغرض استهلاك ، خاصة بواسطة العلوم والتقنيات ، فالفرد أمن بهذا المشهد التقني التطوري للحياة ، ورآى بأنه لا مفر منه وعليه راح يمجد لهذا المشهد ويثمن نتائجه بالقبول كون أنه لا مجال للتمرد ، لأن وجوده أصبح يخضع لتحكم خارجي كما أن مصيره لا يضعه بقراره الذاتي ، وانما مرتبط بتقلبات الواقع الإستهلاكي ، وحياته بدون معنى ، فهو مندمج في غاياتها الكونية الخادعة وبدونها ينتهي إلى التلاشي والزوال ، باعتبار أنها أصبحت من الضروريات التي لا يمكن الإستغناء عنها ([2]).

وإذا كان من السهولة بمكان الإقرار بالفصل بين الفردانية والأداتية ، يبقى أن حدودا لا يمكن تجاوزها يؤدي لزاما إلى فسح المجال أمام تحسين النسل ليبراليا ، تحسين على الأقل ما يمكن القول عنه أنه مدمر للجماعة وقيمتها بوصفها مجتمعا أخلاقيا .

([1]) رمضان بسطاويسي محمد ، علم الجمال لدى مدرسة فرانكفورت ، أدورنو نمودجا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى 1998، ص ص 96 – 97 .

([2]) ماكس هوركهايمر ، ثيودور أدورنو، جدل التنوير (شذرات فلسفية)، مرجع سابق ، ص 142 .

ثالثا: خطر المنحدر الزلق

عم القلق لدى كثير من الأفراد بشأن خطورة التطبيق الإجابي لمخطط الحتمية البيولوجية المؤيد لإستخدام كل ما توصل إليه العلم البيولوجي ، أمر ينذر بمحو الحدود الموضوعة بين الأشخاص والأشياء من جهة ، وبين الطبيعة والثقافة من جهة أخرى وهو بتعبير هابرماس خطر منحدر زلق يقذفنا إلى عصر التصنيع والتسويق السلعي للأعضاء البشرية

، فضلا عن انتاج أطفال بواصفات تشبه مواصفات بضائع تنتج بحسب الطلب . أو ما يطلق عليه في الولايات المتحدة الأمريكية بالتسوق في محلات البيع الجينية ([1]) .

في رده على سؤال : أي معنى نعطيه للبيوإتيقا ؟ يقول F. Caeymaex :"إن مسألة التمييز ضرورية ، عندما نكون بصدد تحديد ماهية البيوإتيقا ، فقد تجلب الفلسفة البيوإتيقا بعض الشيء ، إذ حسب رأيي لا يجب أن تتأسس على العقل ، فهي بمعنا ما ليست من النوع الذي يتطلب خطابا بل ، نظرية أخلاقية تطبيقية (...) إن البيوإتيقا تسمح لنا بالولوج إلى أراض فارغة ، تلك التي تكشف عنها العلوم في مجال القيم "([2]).

ويستهل هابرماس الحديث عن واقع ما وصلت إليه المسألة الجينية في الولايات المتحدة قائلا : " إن ما يهم الزملاء الامريكيون هو البحث بشكل اساسي في الطريقة التي على هده التطورات ان تجد مكانا لها.مع العلم انهم لا يشككون بالمبدا,طالما ان العلاجات الجينية قد باتت امراحاصلا،وسينتهون الى التسوق من المخزن الوراثي الكبير,وبالطبع فان هده التقنيات ستتدخل في الرابط ما بين الاجيال وستقلبه رأسا على عقب.اما بالنسبة للامريكيين الذين يفكرون بشكل درائعي,فان الممارسات الجديدة لا تثير اطلاقا أي مشكلة جديدة،انها لا تقوم باكثر من جعل المسائل القديمة المتعلقة بالعدالة التوزيعية,مسائل اكثر حدة .

([1]) مجموعة باحثين، يورغن هابوماس،العقلانية التواصلية في ظل الوهان الاتيقي، ص 122 .

([2]) F. Caeymaex, De la philosophie a la bioéthique communication non publiée présentée lors de la réunion du groupe de réflexion ACI , liège ,02 mai 2006 .p 05 .

إلا أن ما يقدمه هابرماس لا يعدو كونه ملاحظة مختصرة ، لا يزيد من خلالها استباق النقاش القانوني، فالاختلافات في المنظور يمكن شرحها عبر تقاليد قومية مختلفة ، من وجهة النظر الدستورية كما من وجهة النظر القانونية ، و لكن في حال تواجدها ، فهي توجد تبعا لقاعدة مشتركة ، و هي قاعدة أخلاق العقل الفردانية، بعد مناقشة الوراثة الجينية من جانبيها القانوني والدستوري يصل هابرماس إلى نتيجتين ممكنتين، الأولى هي أن الأشخاص المبرمجين لا يستطيعون اعتبار أنفسهم صانعي سيرتهم الخاصة بهم وحدهم دون شراكة ، والثانية تتعلق بمدى الإحتقار الذي سيكنونه للأجيال التي سبقتهم كونهم لم يولدوا بنفس الطريقة المعهودة ([1])، فالأمر يتعلق حسب جيرار هوبر G.Huber بعالم مستقبلي لم تر ى مثله عين قط ، وقد أكد على أن ما هو قريب الوقوع سيكون نتيجة ليوتوبيا الإنسان (يقينية الإنسان) وإرادة التحكم العمياء في الطبيعة ([2])

إن مقارنة ثقافتين قانونيتين ليس لها هنا من ميزة إلا أن تقدم لنا المناسبة الكشفية التي تظهر ، مقارنة بنموذج قانوني ، هذا الاختلاف في المستويات ، و الذي يظهر في التقييم الأخلاقي للنتائج المترتبة عن النسالة الليبرالية ، و لهذا السبب فإن هابرماس يسمي ممارسة ما يترك لتقدير الأهل إمكانية التدخل في جينوم الخلايا الجذعية المخصبة .

([1]) يورغن هابرماس ، مستقبل الطبيعة الإنسانية ، ص 98 .

([2]) Gérard Huber ,La bioéthique Utopie , religion , internationale , http//: www. GérardHuber. Fr , 08-06 -2012 .23: 16h.

هدا التصور القليل التفصيل حول هده المسالة انما يقوم على ثقة لا تتزعزع بالعلم وبالتطور التقني,كما على منظور ترسخ في التقليد الليبرالي الموروث عن لوك .يضع هدا التقليد في صميم اهتماماته,وخلافا للتدخل من جانب الدولة,حماية حرية الاختيارالتي يتمتع بها بشكل فردي الاشخاص القانونيون كما تركز النظر في تحليله للتحديات الجديدة للأخطار التي تستوجبها الحرية في البعد العمودي للعلاقات التي يقيمها الشريك الإجتماعي الخاص مع القوة العامة.فخلف الخطر الأولي المتمثل في اللجوء الى السلطة العامة من خلال الاستعمال المفرط للقانون,فان مايحا الى المرتبة الثانية ليس إلا الخوف من الاستخدام للعنف الاجتماعي الذي يستطيع المواطنون العاديون,في البعد الأفقي لعلاقتهم مع المواطنين العاديين الآلخرين,ممارسته الواحد منهم اتجاه الآخر.ان حق الليبرالية الكلاسيكية يتجاهل الأثر الأفقي للحقوق الأساسية([1]).

و تتجلى انفرادية الإنسان من الناحية البيولوجية بطبيعته الوراثية القادرة على إيجاد نماذج تطورية واسعة في ظروف بيئية مختلفة ، فباستطاعة أي كان أن يؤدي أي واجب من الواجبات إذا ما تدرّب و مع هذا فلكي يتخصص الإنسان في عمل معين يحتاج إلى أمور أخرى ، فلقد وجد أن من بين الأنظمة الاجتماعية التي تقدر الاختلافات البشرية قدرها ، و تستفيد منها النظام

([1]) يورغن هابرماس ، مستقبل الطبيعة الإنسانية ، ص ص 94 ،95 .

الديمقراطي ، و هذه الميزة هي أهم فضائل هذا النظام التي كفلت بقاءه([1])

لكن هذا لا يعني الانتقال إلى الديمقراطية التوزيعية.

لقد أخذت التقنية المعاصرة طابعا كوكبيا ,لكن أمريكا هي الارض التي تحقق فيها القشتال–المصادرة–بإعتباره النفسه الذي يضم الوعي التقني المحض,ونسيان الكينونة وغياب التمعن,ربما لان امريكا هي ارض بلا هوية وبلا جذور ,فهي الجذمور او الريزوم المفصول عن اصله الميتافيزيقي بلغة دولوز,ان النموذج الامريكي" الأمركة"هو نموذج التقنية المفصولة عن جذورها, والأمركة هنا تتجاوز أمريكا نفسها, يخبرنا هيدغر...." من الامركة اوروبية, أنها شيء غير مفهوم من الهائل الذي ما يزال بلا قيود وما يزال غير منبثق من الماهية الميثافيزيقية التامة و الجامعة للعصر الحديث,وان التاويل الامريكي للامركة بواسطة البراغماتية ما يزال بعد خارج الميدان الميثافيزيقي,باعتبارأن البراغماتية هي بالضبط فصل الحقيقة عن مجالها الميثافيزيقي, ونقلها الى المجال الانتروبولوجي للنجاح و الفعالية البشرية([2]) .

ولإجمال الموقف يقول راسل "إن البرغماتية تروق للمزاج الفكري الذي يجد على ارض هذا الكوكب جمع مادة تخيلاته والذي يثق بامكانية التقدم ,ولا يشعر بالتحديدات غير

([1]) مجموعة باحثين ، علم الإجتماع والوراثة ، ص 45 .

([2]) اسماعيل مهنانة ، الوجود والحداثة ، هيدغر في مناظرة العقل الحديث ،منشورات الإختلاف الجزائر ، الطبعة الأولى 2012 . ص 115 .

البشرية لطاقة الانسان ,كما انه يحب المعارك مع كل ما يصحبها من اخطار لعدم وجود شك حقيقي لديه حول احراز النصر " ([1]).

ولعل الخوف من هذا التحول الكبير ، هو من خلف ذهولا أصاب الأوروبيين والأمريكين على حد السواء ، بخاصة المفكرون الليبراليون . فهؤلاء مترددون بين ما يعتبرونه من صميم اختيارات الفرد وحريته الخاصة ، وما يعتبرونه من صميم صلاحيات الدولة بوصفها القيمة والمسؤولة على حرية الأفراد الإجتماعية . إلا أن أغلبتهم تفضل ترك مبدأ حرية التوالد والنسل للفرد عوض الدولة في حميمية الأفراد .

وهو ما يعني أننا دخلنا مرحلة حرجة حول حرية تدجين النسل من عدمها كما يسميها هابرماس – علما إن هذه الحرية بالنسبة له تقع فوق أي إعتبار آخر ، ويجب أن تكون في مأمن من تدخل الدولة في مجال الأفراد الخاصة والحميمية . لكن السؤال المطروح كيف سيتم التصرف عندما يقوم هؤلاء الأفراد بالمطالبة بأن يتمتع أعضاء المجتمع بحق استعمال جميع تقنيات التوالد المتاحة لكي ينعموا بحرية التناسل بالطريقة التي يرونها مناسبة لهم وباسم الحرية ذاتها .

إن التلاعب والسيطرة أمر يتعارض مع الحرية الإنسانية بحيث "إن مشروعا بهذه المقاسات لا يمكن أن يتطابق مع روح المبادئ السياسية الليبرالية ، إلا إذا لم تخل

([1]) برتراند راسل ،أثر العلم في المجتمع ، ص 119 .

التدخلات الجينية بطبيعة الفرد المحور إيجابيا (تعديله إلى الأحسن) وبامكانيات عيشة بكل استقلالية فضلا عن عدم العبث بشروط علاقة المساواة مع الآخرين مستقبلا"([1]).

ان اي تدخل مسبق في مستقبل شخص ما هو إخلال بتوازن العلاقات البينية التي تربطه بجماعة من الناس ، إذ "إن التدخل في طبيعة الإنسان البيولوجية وتعديلها ايجابيا ، يجب أن يقف عند حدود عدم المس باستقلالية الفرد ومساواته مع الآخرين . بمعنى إن أي تعديل لطبيعته بهدف منحه مثلا قدرات خارقة أو فائقة يعرض بالمساواة بين بني البشر ، بالإضافة إن اختيار الأجنة والتحكم بمسارها ، يعبث باستقلالية الفرد ، ويجعل منه مجرد بضاعة تمت صناعتها بحسب الطلب في سوق الهندسة الوراثية"([2]) .

إن من بين القضايا التي أثيرت حول مشروع الجينوم البشري الأصلي أنه يبدو وكأنه لا يبالي بما عرف من تباين بين الأفراد ، وتباين بين المجاميع ، جينوم من هذا الذي سيمثل في الجينوم البشري ؟([3])

فقد أوضح ريتشارد دوكنز ذلك في كتابه العلم والحقيقة قائلا : " لوطلب مني أن ألخص الوراثيات الجينية لإخترت كلمة الرقمية "([4]) ، فقد تغير مفهوم الحياة بسبب مستحدثات البيولوجيا الجزيئية ، لينتقل الإنسان من البعد الماورائي إلى البعد الرقمي .

([1]) مجموعة باحثين ، يورغن هابرماس العقلانية التواصلية في ظل الرهان الإتيقي ، ص 123 .

([2]) المرجع نفسه ،ص123

([3]) ريتشارد ليونتين ، حلم الجينوم و أوهام أخرى ، ص 166 .

([4]) ريتشارد دوكنز ، العلم والحقيقة ، ترجمة مصطفى أبراهيم فهمي ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ، الطبعة الأولى 2005 . ص 192

يجدر بنا التفكير في وضع حدود وقوانين لتقنيات الزرع في المبيض وتشخيص ما قبل اضلولادة والولادة السريرية المبرمجة . وبذلك يحاول هابرماس التفكير في معالجة وتصحيح مسار الليبرالية المزمع تطبيقه في مجال التناسل والتوالد.

لذلك يضع الفيلسوف هابرماس أمامه هدف انجاز مراجعة جذرية للفكر الليبرالي الشائع : الحرية . إن حق الطفل الوليد في الحرية كذات مستقلة يجب عدم المساس به مطلقا . لكن خطر المجازفة والتعريض به يظل قائما في إطار الهندسة الوراثية ، لا سيما إن ولادة أطفال في اطار من التقنيات الطبية الجديدة تجعل من وضعهم وضعا شبيها بأشياء صنعت بحسب الطلب أو مجرد ممتلكات أبوية تم شراء ومزج عناصرها وتركيبتها من السوق الجينية .إذ ليس هناك من حل لتفادي القلق الذي بدا يلوح في الأفق وأمام هذه الرهانات العويصة ، إلا " بتخليق الطبيعة الإنسانية " .

الفصل الثالث

أثر التقنيات الطبية على الأخلاق من وجهة نظر يورغن هابرماس

أولا: نحو تخليق التقنيات الطبية والبيولوجية المعاصرة

إن أتباع الحتمية البيولوجية أمثال سلوتردايك هم في أغلب الأحيان فلاسفة يميلون إلى السذاجة في السياسة والإجتماع ولكن هذا ليس أهمية من الإشارة الملحة لوجود ذلك التفاعل المركب بين تطور النظرية العلمية وتطور النظام الإجتماعي هذا معناه أن البحث العلمي عندما يسأل أسئلته عن العالم البشري والطبيعي الذي هو بصدد تفسيرهما غالبا ما تكون الطرق التي يسأل بها خاضعة للأهواء الإجتماعية والثقافية والسياسية ، إذ الفلاسفة كغيرهم من الناس يتأثرون بإبستيمي عصرهم .

والحتمية البيولوجية شكل قوي من أشكال التفسير لما يلحظ من عدم المساواة في الوضع والثروة والسلطة في المجتمعات الصناعية المعاصرة ([1])

إن فصل الحقيقة عن القيمة والتطبيق عن النظرية والعلم عن المجتمع هي من الأفكار التبسيطية التي من شأنها تفتيت المعرفة .

إن إنتقال الأخلاق من مجال السلوك والقيم والمعايير والأنظمة الإجتماعية والسياسية والمعاملات الإقتصادية إلى مستوى آخر أغفله المشرع و هو التركيب البيولوجي والإحيائي للأعضاء والخلايا والأنسجة . مما يعني إن مجال الأخلاق في المجتمع الصناعي إذا كان ينسب لمجال السلوك والمعاملات الخاص بالفرد وقانون العقود والإلتزامات ، سينتقل في مجتمع الطفرة التكنومعلوماتية إلى مستوى ثان كان في عداد

([1]) ستيفن روز وآخرون ، علم الأحياء والإديولوجيا والطبيعة البشرية ، ترجمة مصطفى ابراهيم فهمي ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب ، الكويت ص ص 19 – 20 .

الغائب إلى أمد قريب ، إنه عالم البيولوجيا الصغائرية والهندسة الجينية وزرع أو غرس خلايا وأنسجة وأعضاء لضبط عناصر التحول التي قد تمس الطبيعة البشرية بانتفاء الحدود بين الآلة والجسد .

إن هابرماس مند كتابه " **التقنية والعلم كادبولوجيا** " (1968) مهتم بأن لا ينزلق مجتمع الديمقراطية والتعددية الذي يضع لحقائه السياسية سقف التوصل للتوافق حولها نحو علاقات غير متوازية تعصف بالرابط الإجتماعي الذي يساوي بين أعضاء مجتمع تربط بين أعضائه علاقة أفقية تنظمها الدولة بواسطة عقد إجتماعي تداولي ، يبين الحقوق والواجبات للمجتمع ككل ، وعلاقة عمودية تنظمها الجماعة بوصفها رابطة لغوية وروحية واثنية ، لها ما يميزها من إرث ثقافي بين سائر الثقافة .

وينبع أول تهديد مباشر للمجتمع الديمقراطي من تدمير علاقات المساواة بين الأفراد بواسطة تطبيق الليبرالية في مجال الهندسة الجينية ، أو ما يسميه هابرماس تحسين النسل ليبراليا ، ما يهدد " بوجود فراغ أخلاقي في الحياة " لن يستطيع الإنسان تحمله . لذلك يجب وضع التقنيات الإحيائية أمام مسؤولياتها الأخلاقية .

وبذلك التحذير والتنبيه من مغبة التطبيقات والتدخلات الجينية في صميم جوانب الحياة الحميمية للإنسان ، يعيد هابرماس للفلسفة حق المكاشفة والمساءلة النقدية التي تذهب أبعد من الحاضر أو بالرجوع إلى الماضي([1]) .

([1]) مجموعة باحثين ، .يورغن هابرماس . العقلانية التواصلية في ظل الرهان الإتيقي ، دار الروافد الثقافية ، ناشرون ،ص125.,

فالفلسفة النقدية يمكن أن تلعب دورا ذو أهمية كبرى في بناء مستقبل الحياة الإنسانية . ولا ضير من أن ننتقد السلبيات باستعراض المحاسن ، وهو ما يميز هابرماس عن غيره بوقوفه على محاسن ومساوئ الهندسة الجينية .

وترفض الفلسفة بهذا المعنى أن تؤسس منطلقاتها على التهويل أو التوجس من الأسئلة ، ما دامت سنن الحياة نستقيها من خلال تحقيق الممكن و إستشرافه الدائم ، هذا دون أن ننسى إن إجراءات اليوم يمكن أن تندثر إلى غير رجعة غدا ، فضلا عن كون التخوفات التي تصاحبها يمكن أن تتوارى هي كذلك بدورها([1]). مع أن هابرماس في

([1]) المرجع السابق ، ص 125 .

كتابه المعرفة والمصلحة,عبر عن قلقه إتجاه تنامي مبدأ السببية ، مقابل الاخلاق فقد ذكر مقولة لنتشهNietzsche*،اذ ,يقول:"بالقدر الذي يتنامى فيه معنى السببية يتناقص فضاء مملكة الأخلاق ،لأنه في كل مرة يدرك المرء الاثار الضرورية ويفهم ان يفكر مستثنى من الحالات جميعا ،من كل ما هو مؤقت و ما بعد,عند ذلك يكن قد دمر عددا كبيرا من السببيات المتخيلة التي جرى الايمان بها من حيث إنها أساس أخلاق العالم الفعلي الذي هو أصغر بكثير من المتخيل ، وفي كل مرة تختفي فيه قطعة من الخوف و القسرمن العالم ، وفي كل مرة تختفي قطعة من الإحترام إزاء سلطة الأخلاق،تضيع الأخلاق بالجملة "([1]).

---

* إن نيتشه (1844 – 1906) يعتبر أول من عبر بشكل علني وصريح عن النزعة التفكيكية في المشروع التحديثي و الإستناري الغربي الذي يدور في إطار العقلانية المادية ، ومن ثم فهو فيلسوف الإستنارة المظلمة والعقلانية المادية بلا منازع (أحمد عبد الحليم عطية ، نيتشه وجدور ما بعد الحداثة . دار الفرابي ، بيروت ، لبنان د.د.ط. 2010 ص 167) .إنه يحطم كل نسق كمطرقة للفلسفة ، إنه يمجد اللحظة ما قبل سقراط ، لحظة الكتابة الشذرية الشاعرية ، ذلك إن الحقيقة حسبه متملصة " هب إن الحقيقة إمرأة (فريدريك نيتشه، ما وراء الخير و الشر ، ترجمة : جزيلا فالور حجار ، غروب في بيروت ، لبنان .الطبعة الأولى ص 13) . لذلك فهو متعذر فهمها . يقول نيتشه بصدد الرد على أفلاطون " كل حقيقة بسيطة ، أليس هذا افتراء مضاعف ؟" (Le crèpuscule des idoles. Trad henri ,sigma , F. Nietwche ed ,p 71.)، حسب نيتشه و إنما فقط تمتلات لها ،وليس هناك قيود على الفكر الخضوع لها ، يقول "إنني أسخر من جميع الذين يتبعون النظام ، إرادة النظام نقص في النزاهة "(Ibid.p75) وينطبق هذا على كل مجالات الفكر . استلهم نيتشه من الصيرورة في الأنساق الفلسفية السابقة ليبدع مفهوم العود الأبدي : الدورة التي تكتمل وتعاود البدئ كل مرة وبلا توقف ، مستخدما الجينيالوجيا في مواجهة الميتافيزيقا (أحمد عبد الحليم عطية . المرجع السابق .ص156 .)، ليصبح عالم الحقيقة في النهاية مجرد حكاية (المرجع نفسه . ص 155). لقد استقطبت فلسفة نيتشه الجدل الدائر اليوم بين الفلاسفة المعاصرين حول العقلانية واللاعقلانية ، الحداثة وما بعد الحداثة ، حيث يضعها هابرماس في مفترق طرق ما بعد الحداثة (...)، وفي مقابل ذلك يجعله البعض ضد النزعة الإنسانية وممثلا لفلسفة موت الإنسان (أحمد عبد الحليم عطية ، المرجع السابق ص ص 275 ، 276 .) وذلك أن نيتشه مفكر بعدي postume لم يكتب لزمانه ، يقول " نحن الرجال البعديون – أنا على سبيل المثال – لا نفهم في زمننا وثمة مصدر زمننا "(. F. Nietwche, idem, p73) ، إنه يؤسس بذلك عصرا جديدا سمته التعدد والتنوع والإختلاف .

([1]) يورغن هابرماس .المعرفة والمصلحة .ترجمة : حسن صقر ، دار الجمل ، كلونيا ، ألمانيا ، الطبعة الأولى 2001 ص.336.

لقد أدرك نيتشه ، ومن قبله كومت النتائج النقدية للتقدم العلمي التقني من حيث أنها تجاوز للميتافيزيقا ،،كما يدرك **ماكس فيبر M.Weber** الذي جاء بعده النتائج العملية للتحديث ، من حيث أنه عقلنة للفعل ودحض لقوى الايمان التي توجه الفعل([1])، وقد أدخل فيبر مفهوم العقلنة لتحديد الشكل الراسمالي للنشاط الاقتصادي ، ان العقلنة هي قبل كل شيء اتساع ميادين المجتمع الخاضعة لمقاييس القرار العقلاني .او يوازي ذلك متابعة تصنيع العمل الاجتماعي مع هذه النتلجة ،وهي ان مقاييس النشاط الاذاتي تنفذ الى ميادين اخرى للوجود،تعمير نمط العيش,اضفاء صبغة تقنية على التبادلات واشكال التواصل، ليصل الى القول"ان اضفاء طابع دهري على صور العالم الموجهة للعمل بل للتراث الثقافي في مجموعه ،ونزع الطابع القداسي عنها هي المقابل للعقلنة المتصاعدة([2]) للنشاط الاجتماعي.

إذا كان الخوف الذي سيطر على الجميع منذ استنساخ النعجة دولي ، وما يصاحبه من فضاعات يرتكبها الإنسان من حماقات أحيانا في حقه وفي حق الطبيعة ، يجعلنا محقين بالرجوع إلى تمثل الفلسفة كسؤال أبدي في الكون لا يقف عند حقائق بعينها ، بقدر ما يساعدنا على تمثل صواب الطرح الموضوعي الخالي من التهويمات السحرية للكون والإنسان والأحكام المسبقة([3]) .

([1]) المرجع نفسه، 337 .

([2]) محمد سبيلا و عبد السلام بن عبد العالي . الفلسفة الحديثة نصوص مختارة ، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب الطبعة الثانية ، 2010 . ص ص 310 ، 311 .

([3]) مجموعة باحثين ، يورغن هابرماس ،ال عقلانية التواصلية في ظل الرهان الاتيقي ،.ص 125 .

لقد سعى أحد أقطاب مدرسة فرانكفورت وهو ماركيوز الذي سيوظف علم النفس الفرودي للكشف عن الآليات السيكولوجية التي أنتجت ما يسميه ملركيوز "القمع" ،وله ذا ركز اهتمامه لبيان أن في ظل العقلانية التكنلوجية لم يعد القمع المسلط على الإنسان يتم على المستوى الخارجي أي على المستوى الاجتماعي و السياسي , بل إمتد على المستوى الداخلي و لحق حياته الذهنية و النفسية و الغريزية , من خلال توجيه التقافة و الفن و تشيؤ اللغة.

من هنا إنطلق هابرماس في بناء فضاء تواصلي.ومن جهة اخرى طبعا نجد اهتمام ماركيوز بالاحتواء السياسي الذي أصبحت تعرفه المجتمعات الغربية التي تدعي انها متسامحة وديمقراطية.فى حين انها تبطن السيطرةالسياسية والديمقراطية([1]) . والحلول التي يقدمها هابرماس ليست سلبية , أو تشاؤمية اتجاه التقنية, أذان تشاؤمية ماركيوز اتجاهها تجعلنا تتصور الحاجة إلى مجتمع بديل ,هابرماس يعتبران الأزمة بحاجة إلى التفاهم الواعي المرتبط بحياة تصبو إلى الأفضل ,يقول" أن سيررة البحث في العلوم الطبيعية منظمة في الإطار الترنسندنتالي للعقل الأذاتي ،ذلك أن الطبيعة تصبح بالضرورة موضوعا معرفيا ضمن و جهة نظر التحكم التقني الممكن ، أما سيرورة البحث في علوم الروح فتتحرك على المستوى الترنسندنتالي للفعل التواصلي,ذلك أن شرح علاقات المعنى تقع بالضرورة تحت وجهة نظر الحفاظ الممكن على المشاركة الواعية في التفاهم"([2])

([1]) المرجع نفسه ، ص 127 .

([2]) يورغن هابرماس ، المعرفة والمصلحة .ص 330 .

إذن الحل التواصلي هذا هو عودة إلى عالم الحياة ،حيث الحوار يؤدي إلى تحول الوضع نحو الأرقى ،إن السؤال الفلسفي حول الإستنساخ والهندسة الوراثية أبعد من ذلك بكثير ، يتعلق أمر الجينات بطرح إشكالية كبرى تمس جوهر الفعل الإنساني : هل يجب ترك الفعل الإنساني دائما بدون ظوابط؟ ولن نخالف المعهود بالقول إن التأرجح بين اللانهائي والنهائي كان سمة الإنسانية مند زمن ، بحيث تراه يتطلع من ناحية إلى سبر أغوار اللانهائي بالتعالي والتجريد ، ومن ناحية أخرى يجعله قريبا من الطبيعة محددا ومنتهيا في الزمان والمكان .وهذا التجاذب هو ما يسمح له بالإبتكار و الابداع([1])

مرد هذا القول ، إن ما يمكن أن لا نقبل به اليوم يمكن أن يصبح غدا مألوفا ومستساغا غدا ، وبطبيعة الحال لا نملك وسائل تأكيده لكن لا نملك أيضا وسائل نفيه . لذا إن " تخليق الطبيعة الإنسانية " بحسب هابرماس يطرح اشكالية أخرى ، فالأخلاق بدورها أيا كانت مرجعيتها تثير جدلا حادا ودائما بين الفلاسفة ، فهي متعددة بتعدد الشعوب والثقافات ، ولا يمكن تمثل إحداها دون الدخول في صراع لا يبقى ولا يذر مع مرجعيات أخرى([2]) .

إن النقطة التي يمكن إثارتنا هنا تكمن في اضفاء خيط تواصلي من نوع آخر ،فإضافة إلى خيط التواصل الإجتماعي تظهر الحاجة إلى خيط تواصلي كينوني كما صاغه هيدغر إذ أن الإنسان حسبه هو كائن ميتافيزيقي .ذلك أن ما يربط الجماعة ، هو ما وراء من

([1]) مجموعة باحثين ،يورغن هابرماس ، العقلانية التواصلية في ظل الرهان الإتيقي ، ص 126

([2]) المرجع نفسه،126 .

نوع ما أي هو رابطة أخلاقية في النوع الذي نكونه ، يقول هابرماس " لا تتمكن المنظورات بصيغة الضمير المتكلم بالجمع ، والتي هي مفاهيم أخلاقية النوع البشري لا يمكنها أن تصل للوحدة التي تشابه الوحدة التي نصل إليها" نحن " الأخلاقية والتي تتحصل من خلال مجمل أعضاء المؤسسة الأخلاقية "([1])

تظهر ضرورة نزع صفة التقديس والإنبهار المفرط ،أيضا عن التقانيات الإحيائية والنزعة العلموية ، بعد أن أسقطت التهويمات الغيبية وسلطة الميتافيزيقا أو الحقائق المطلقة.

إن المخاوف دفعت العديد الى التمسك بقيم وتقاليد ورموز من من زمن مضى. ([2])والأمر أشبه بلوحة "الفلاسفة الثلاثة لجيورجيوني،اين يجمع فيها فلاسفة من عصور مختلفة ([3]),

ففي الولايات المتحدة ظهرت نزعة محافظة جديدة حمل لواءها لفيف من المفكرين المحافظين ودعاة الليبرالية الجديدة ، أبرزهم ليون كاس وفرنسيس فوكوياما اللذان يناديان بالعودة إلى ما قبل نهاية الميتافيزيقا وقيم ما قبل عصر الأنوار ، وهي عودة محافظة تحمل في طياتها انتكاسة كبرى وجديدة للعقل البشري وتبشر بزمن الردة وعودة مجددة

([1]) يورغن هابرماس ، مستقبل الطبيعة الإنسانية ، ص 114 .

([2]) المرجع نفسه ، ص 114 .

([3])عبود طلعت عطية،الفلاسفة الثلاثة،مجلة العربي،ع 638،يناير 2012 ،ص158

للحروب الدينية وصراع الآلهة من جديد . ما يجعل الناس في ردة فعل فورية من هذه التقانيات والهبات التكنولوجية المتسارعة تباعد بينهم وبين التفكير السليم والعقلانية[1]) .

إن القناعات الأخلاقية والمعاني السامية التي تقدم معنى ما لحياة البشر ، مهمة جدا ، فالإعتراضات العميقة حول الحدود المتقلبة بين القبول والرفض تجعل نقطة ضوء تقدم معيارا ، هو بمثابة حركة مضادة ، فهابرماس بصدد التعبير عن مسؤولية من نوع رفيع اتجاه قضايا ليست واضحة تماما في زمننا ، هو زمن يتطلب توعية عامة مما قد ينتج عن الجوانب التقنية التي تستخدم بطريقة عمياء في زيادة المحيط الطبيعي .

لذلك إن تخليق " **الطبيعة الإنسانية** "يعني في ما يعنيه هنا محاولة الحفاظ على الشروط التي تؤمن بناء مشتركا لإستقلالية كل فرد . فلا وجود للحرية من دون احترام هذه الحرية لدى الآخر ، وهي أساس التواصل الإنساني . (وهذا ما أوضحه هابرماس في مؤلفه الضخم "**نظرية الفعل التواصلي** " 1981 لذلك إن أي مس أو تعديل جذري في علاقته مع الآخرين ، يمكن أن يؤدي إلى تغييرات جد جوهرية في حرية الأفراد ذاتها , ينبهنا هابرماس إننا نلغي حرية الآخرين وبالتالي آدميتهم عندما نختار مكانهم ما يجب أن يكونوا عليه بكل تلقائية وبمحض إرادتهم في السياسة والأخلاق والتربية والسلوك . يخيل لهابرماس أن النقاش الدائر حول الطريقة الأفضل التي تتيح للجنس البشري أن يفهم نفسه بعبارات أخلاقية فلابد من إعطاء وزن للحجة التالية : كل المفاهيم التي تطور أخلاقيات النوع الإنساني لا تتناغم بالطريقة نفسها مع الفهم الذي نكونه عن أنفسنا با عتبارنا

([1]) مجموعة باحثين ،يورغن هابرماس، العقلانية التواصلية في ظل الرهان الاتيقس ، ص127 .

أشخاص مسؤولين أدبيا، وبالنظر إلى هذه الحجة فهي ليست أخلاقية حسب هابرماس ، لكنها تستند إلى شروط تحفظ الفهم الأخلاقي للذات طالما هي تدافع من أجل فهم للذات من وجهة أدبية.

ثانيا: تكييف المجتمع بتكييف العقل

إن ا لإنسان بتعبير فرنسوا دلغوني كائن ميتابيولوجي،تحويرا لمقولة هيدغر بانه ميتافيزيقي،فهو يتطلع إلى الافق([1])،هذا الأفق الذي يرى هابرم اس أنه ليس سوى جمعويا،فالوضوح ليس كل ما يقدمه التفكير الفلسفي بالرغم من ان ذلك هو غرضه الدائم([2])

إن هابرماس يخالف **سلوتردايك** ذو النزعة النتشوية الواضحة ، وأبرز دعاة البيوتكنولوجيا ومؤيدي المنحدر الزلق ، وضد التيار الليبرالي المحافظ الذي يقوده **فرنسيس فوكوياما** الذي يرفض الهندسة الجينية . إن هابرماس من جهة يردد بأن ما يجعل الإنسان إنسانا ليس " طبيعة " بيولوجية بعينها ، وانما الشبكة الإجتماعية واللغوية والرمزية التي يندرج فيها منذ ولادته ، ما دام أن : "هابرماس بلور برهانا ... معقدا حول الموضوع ، من خلال تأويله اللساني والتواصلي للفلسفة الكانطية . لكنه اليوم يدافع عن

([1])Jean-mare vaysse ,inconscient et philosophie,bordas,paris,2004p196

([2])مجموعة باحثين،الفلسفة و الافكار الحديثة،المكتب العالمي للبحوث،،بيروت للطبلعة و النشر،لبنان،1983،ص37

ما يسميه ب " **أخلاقيات النوع البشري** " . لذلك لا نعرف كيف يجب فهم وقوعه في غموض نزعة الوضعية الطبيعية ؟ "([1]) .

وبالرجوع إلى ولادة الإنسان بالمعنى البيولوجي والحرفي للكلمة يظل هذا الكائن كائنا غير مكتملا ، وذلك إلى الحد الذي يبقى فيه طول حياته بحاجة للرعاية والإهتمام وإعتراف محيطه الإجتماعي به ،

أي إن عدم إكتمال فردانيته التي يتم إنتاجها عبر الدانة ADN تتجلى بادية العيان منذ أن تبدأ سيرورتها الإجتماعية في الفعل . مما يعني أن سيرة الفرد الذاتية تتحقق عبر التنشئة الإجتماعية "**الجمعنة** " والعامل الثقافي بالمعنى الواسع للكلمة يجعل من مقاطع الدانة "ADN "، تقوم بدور فرعي غير رئيسي في تطور الإنسان ، الذي يظل مرتبطا بالتنشئة الإجتماعية وبدور المجتمع والمحيط وتأثيرهما عليه ([2])

ومن ناحية أخرى يرى هابرماس ضرورة التسريع بسن تشريع جديد في ميدان التقانيات الإحيائية ، لأن ذلك له مبرراته القصوى ، تكمن أولاها في الحفاظ على الطبيعة

([1]) مجموعة باحثين ، المرجع السابق .ص 133

([2]).المرجع السابق ،ص133

الإنسانية عندما يأتي أي مولود لهذا العالم ، ما دامت هذه الطبيعة إحدى شروط إندماج الفرد في

السيرورة الإجتماعية . بالمقابل إن اختيارات التعديل التي قد تتم في الأجنة قبل ولادة أي مولود من شأنها أن تقلص من حظوظ نجاح هذه الجمعنة (التنشئة الإجتماعية) وبالتالي الإجهاز على استقلالية الطفل مستقبلا([1])،

يقول هابوماس" إذا كان لعلم الوراثة و للمحيط أهمية متوازية بالنسبة إلى ما يشكل السمات الخاصة بنا حاليا، فإن محاولة تعديل واحد منهما هي محاولة أيا كان أصلها ، تستحق فحصا دقيقا (...) علينا التعاطي مع هذين النمطين من التعديلات بطريقة متشابهة ، فالحجة لا تستقيم إلا بتواز لا يخلو من الشكل يقوم على تبسيط الفوارق بين ما ينمو طبيعيا و ما هو مفبرك بين ما هو ذاتي و ما هو موضوعي"([2])

وهذا التعبير في سلم الأولويات الذي يعقده هابرماس أثارالبلبلة عند علماء البيولوجيا والهندسة الوراثية ، بخاصة إذا ما اعتبرنا نوعية الحلول التي يعلنها للتخلص من المنطق الإستهلاكي الذي يدفعنا للقبول بما تعرضه إغراءات التقانة الإحيائية .

([1])المرجع نفسه ،ص134

([2])يورغن هلبرماس،مستقبل الطبيعة الانسانية،ص63

إن الوقوف في وجه أن يتحول الإنسان إلى أداة ، ، يسمح بالحفاظ عليه بمنآى عن وضع شبيه بمنتوج سلعي قابل للتطوير والتعديل والتحسين ، يتم عرضه بحسب مواصفات ورغبات معينة للإستهلاك . وهو ما يبرر مطالبته بوضع " قانون أساسي يحمي الطاقم الوراثي من التحوير " والعبث بمحتوياته كيف ما كان القصد سلبا أم ايجابا .

غير أن ذلك أحدث بلبلة كبرى زاد في الطين بلة أكثر مما هدأ النفوس ، بخاصة إذا سلمنا أن وضع هذا القانون سيكفي لوحده لتأمين شرط التمتع بالحرية التي قد تتحقق بمحض صدفة تحيط بتلقيح بويضة المرأة .

ذلك إن تغيير في " الحدود ما بين الصدفة والإختيار الحر " سينال من فهم الأشخاص لذواتهم بصفة كلية ، وإذا شئنا الدقة إن ما سنصل إليه ، هو شيئآخر تماما من ذلك الذي يؤدي إليه مزج ما بين مقطعين صبغيين (كروموزوم : جسيم خلوي يحوي المورثات) مختلفان لا يمكن التكهن بمسارهما اللاحق([1]).

وهنا إن عدم التوقع الذي يحيط بعملية الإنجاب درجنا عليه بصفة طبيعية ويجب الحفاظ عليه ' ما يعني منع جميع التحويرات والتعديلات الجينية وجميع أشكال التوالد التي لا تحتفظ بمبدأ عدم التوقع والعفوية .

وبالتالي ، يأتي الإستنساخ على رأس القائمة من حيث سعيه إلى إعادة إنتاج يعد " تدخلا فاضحا في أسس جسدية المنشأ وفي طبيعة العلاقة العفوية مع الذات والحرية

([1]) مجموعة مؤلفين . مرجع سابق ، ص ص 133 ، 134 .

الأخلاقية للآخرين " . فالولد الذي يأتي عبر تقنية الإستنساخ في نظر هابرماس لا يعدو أن يكون عبارة عن " توأم متأخر "([1]) .

. وهذا القانون يذكرنا " بالحق في مستقبل مفتوح " يضمنه الجهل بالجينات عندما نريد رد دعاوي أنصار الإستنساخ الإنسان . وهو التعبير الذي استخدمه فيلسوف البيوأخلاقيات **هانس جوناس Hans Jonas** الذي تم تبنيه من قبل طرف العديد من المؤسسات ، منها ما نجده في معاهدة حول حقوق الإنسان والإحيائية الطبية سنة 1997 ، بحيث نجد في الفصل الثالث ، العنصر الثاني من المادة العاشرة : " لأي شخص الحق أن يعرف أي خبر حول صحته ، غيرأنه يجب احترام إرادة الأفراد الذين لا يرغبون باخبارهم بذلك " ، وهو ما يترجم حيز التنفيذ حق عدم الإطلاع على خبايا جيناته أو طاقمه الوراثي – الجينوم – لكن المطالبة بهذا الحق يجعل العامل الوراثي على العوامل الأخرى . وهو ما تم الإشارة إليه من ظرف لفيف من المفكرين في كتابهم الذئع الصيت : إن " المشكل مع هذه الحجة يفترض اعتبارها حتمية نسلية مفادها إن الطاقم الوراثي – الجينوم – يحدد كليا مسيرة حياة إنسان ، وهي حجة لا يمكن للدفع عنها ، لأن هذه الفرضية غير صحيحة بكل بساطة (....) فهي لا تتجاهل تحولات النمط الظاهري من تعبيرات خصوصية للجينات فحسب ، ولكن كذلك أهمية المحيط واختيارات الأفراد من أجل بناء حياة متفردة "

وتجدر الملاحظة في هذا الإطار إن الخلية تترجم في ذات الوقت النمط الجيني

([1]) المرجع السابق . ص 134 ، 135 .

وبالتالي إن " الحق في عدم معرفة طاقمه الوراثي – الجينوم – " و" الحق في مستقبل مفتوح " يكشف بالمناسبة عن الترابط المعقود بين الجينوم والقدر . بمعنى إن غشاوة الجهل أو حالة العذرية المعرفية بالنسبة لطاقمنا الجيني ، تحفاظ على طبيعتنا بمنأى عن عن أي تدخل .

ومهما يكن ، لا يمكن أن نفهم كيف تم عقد هذا القران بينهما ولأية أسباب ، أو بالأحرى معرفة كيف يتم استنتاج مبدأ الإستقلالية (استقلالية وبالتالي حرية الطفل الوليد) من هذا الربط بين غشاوة الجهل والمستقبل المفتوح اللذان يحددان الحرية أو الإستقلالية ؟

مرد ذلك إننا إذا كنا نتقبل بسهولة ونرفع شعار حق " المواليد الجدد في مستقبل مفتوح " مع هابرماس ، نعتقد أنه بجانب الصواب عندما يتحدث عن حق عدم معرفة انسان – أو جهل – لطاقمه الوراثي – الجينوم – بوصفه حقا لا يتجزأ من هذه الإستقلالية المنشودة . فهذا الحق بهذا الشكل لا يتطابق بالمرة مع مبدأ الإستقلالية المنشودة . فهذا الحق بهذا الشكل لا يتطابق بالمرة مع مبدأ الإستقلالية والتوافق الذي يؤسس لحد كبير البيوأخلاقيات من جهة وحقوق الإنسان من جهة أخرى .

إن هذا الحق يتأسس عبر ربط غير مفهوم بين الصدفة والحرية ، بحيث لا نعتقد أن تفضيل **غشاوة الجهل** يعتبر مقدمة لحرية ما ، ثم إن هابرماس بذلك يرسي مكونات الشخصية الأخلاقية والقانونية على الصدفة (التي تجمع بين تركيب أو خليط

اعتباطي للحمولة الجينية) التي تضمن التميز والتفرد وتعتبر بدورها ضمانة للحرية أو ما نطلق عليه باستقلالية الشخص([1])

يقول هابرماس " إن الحياة في الفراغ الأخلاقي,وسط شكل حياة لا تعرف حتى معنى الكلبية الأخلاقية,هي حياة لا تستحق أن تعاش"([2]) ليست هذه الحجة بذاتها حجه اخلاقية لكنها تستند إلى شروط تحفظالفهم الأخلاقي للذات طالما هي تدافع من اجل فهم للذات من وجهة نظر أخلاقية النوع, قهم للذات لا ينسجم مع حد اعلى ,ومع أذاتية كاملة للحياة ما قبل الشخصية تقدم لنا تحليلات هابرماس تمييزا بين المثل الأخلاقية العليا و التعلق بالصور الأداتية للحياة وهي ذات مستوي أدنى بالنسبة لأخلاق الجنس البشري وإذا نبه هابرماس منذ البداية بأنه لا يبحث عن ارساء أنطلوجيا طبيعية للإنسان تقام عبر مكوناته البيولوجية ، فأنه لم يعمد لحد الآن إلى توضيح ما يقصد ب " تخليق الطبيعة الإنسانية " ، ما دام قد رفض إعادة إدخال الطبيعة كمعيار في مجال القانون ، فإذا كانت آداب الحقوق والواجبات لا مناص منها ولا يمكن تجاوزها . غير أنه بادخاله بعض العناصر، بخاصة اعتباره فرضية التوزيع الإعتباطي للجينات وعدم معرفتها كشرط أساسي لولوج عالم الإستقلالية من لدن الفرد ، ينذر ويطرح إشكاليات كبيرة ، وهو ما كان يحاول الإفلات منه في اعتقادنا .

([1]) المرجع السابق، ص 136 .

([2]) يورغن هابرماس ، مستقبل الطبيعة الإنسانية . ص 115 .

وأخيرا ، يمكن أن نتساءل عن جدوى الثلاثية التي تجمع بين الصدفة /الفردية / الحرية ، إذا لم يكن هابرماس مدفوعا نحو ميتافيزيقا جديدة تدمج في طياتها العامل الجيني ، أو فلسفة جديدة أدمجت فيها الهندسة الجينية ، على نحو يجعل منها بيو– ميتافيزيقا – إذا كان جائزا نحت هذا الإشتقاق – ، تجعل قانون للطبيعة يتعالى عن القانون الإنساني وبمثابة مبدأ له .

يعترف هابرماس إذن بأن ضرورة تخليق الطبيعة الإنسانية – بيولوجية – ليس هناك ما يبرر صلاحيتها إلا بشرط اعتناق قوي وخاطئ لفرضية التحديد الجيني .لكنه يضيف وهو ما يجسد في نظري قوة حجته :

" إنهم لا يعيرون [يقصد دعاة حق الإختيار] اهتماما في حالة تطبيق تحسين النسل كما هو الحال هنا ، فما يهمهم هو القصد فحسب الذي يكمن وراء التدخل الجيني . فالتعديل الجيني بمعرفة الشخص المعني لم يتم إلا بقصد التأثير على النمط الظاهري لبرنامج جينات إنسان محدد بطريقة طبيعية ، وهو ما تظطلع به التكنولوجيات التي أكدت قدرتها منذ أمد على ذلك " .

لكن هابرماس بهذا الدفع لا يوجه الإتهام للبيوتكنولوجيا أو لبرنامج وراثي بعينه ، يكون من تداعياته استحالة أن يتمتع الإنسان القادم بالحرية ، فهذا ما لم يقع ، ولا يمكن أن يقع ، ولا يمكن أن ننسبه لهابرماس . لكن السؤال يبقى دائما بين القراءة الأولى التي قمنا بها

من جهة ، وحالة القراءة الثانية التي تم التركيز فيها على هوامشه وملاحظاته من جهة أخرى ، وذلك ما دام أن هابرماس لم يفصل في الموضوع بما فيه الكفاية .

. بطبيعة الحال إن القيم الناتجة عن هذا التدجين ستحدد الوسائل والتطبيقات الجديدة له . والهندسة الوراثية والمعلوماتية من بين تلك الوسائل الجديدة التي ستقدم إنسانية جديدة بقيم جديدة ، بحيث يمكن القول أن مبادئ الفعل التي سيطبقها الإنسان على ذاته يجب أن تسير وفق ما نلاحظه في اطار هذا التطور ذاته([1]).

وهذا ما يفتح الباب دراسة كافة الإحتمالات سواء منها محاولات التدجين الناجحة (كحملات التلقيح ، وتنظيم النسل وحسن تدبير الموارد) ، أو تلك التي كانت فضيعة في نتائجها (حملات التطهير العرقي ، العنصرية ، الترحيل القسري ...) وصولا إلى احتمال ت حسين النسل والإستنساخ .

إن الأمر الحاسم هو الإجابة التي قدمها الفيلسوف على السؤال الأخلاقي "ماذا علي أن أفعل ؟"

لا يمكن بالنسبة لكانط أن توجد للأخلاق الكونية الأسس خارجية عن الإنسان مثل الله أو الطبيعة أو حقيقة سامية (يعتقها كانط غير ممكنة الفهم من الإنسان) ، يظهر المبدأ الأخلاقي في صورة ضرورة يقبلها الإنسان بحرية ، و ليس أمر معطي من جهة آمرة كما هو حال القوانين .

([1]) مجموعة مؤلفين ، مرجع سابق ، ص ص 140 ، 141 .

الأمر كوني أيضا بمعنى أنه مجرد من كل مضمون تجريبي ، أنه لا يعبر عن هذه أو تلك من الأوامر التجريبية (البحث عن السعادة ، تقديم العون للآخرين "لا تقتل"...) ، بل هو قاعدة عامة تطبق في كل وقت و في كل مكان ، و هو غير مرتبط بأية أخلاق أو عادات ، يمكن المرور إلى الأمر الحاسم من أي فرد ، إنه يفرض نفسه كقاعدة بسيطة و غير غامضة على كل ذوي العقول([1]). فمثل ما يقول ديكارت : "العقل هو أعدل الأشياء توزعا بين الناس لأن كل فرض يعتقد أنه قد أوتي منه الكفاية، حتى الدين يصعب إرضاؤهم بأي شيء آخر ليس من عادتهم أن يرغبوا في أكثر مما أصابوا منه "([2]).

يقول هابرماس : "إن استخدام مفهوم الكرامة الإنسانية يتيح لضرورة حماية الجنين

لأنه بحاجة إلى ذلك ، و لأن ذلك من حقه أيضا ، إن النفعية و الاستهلالية التي ينادي بها هي أخطر ما يواجهنا ، فاعتبار الإنسان (الجنين و حتى الخلية الجذعية) من المقتنيات (الأشياء) يؤدي إلى تآكل المعنى القطعي المرتبط بالالتماس الأخلاقي ، فمشكلة تخصيب الخلية الجذعية يجب نقلها من النقاش السياسي إلى الفلسفي المفعل لا العميق ، فالنقاش الفلسفي يمكن أن يتخلص من الاستقطابات العميقة المرتبكة برؤى العالم ليرتكز على

([1]) يورغن هابرماس ، مرجع سابق ،ص 49 .

([2]) رنيه ديكارت ، مقالة في الطريقة ، ترجمة : جميل صليبا ، موفم للنشر ، (د د ط) ، سنة 1991 ، ص 6 .

موضوعات الفهم الأخلاقي الأكثر توافقا و التي بإمكان الجنس البشري أن يكونها لنفسه "([1]), اذا فالعقلنة لا يجب ان تتنافى و الكرامة.

ثالثا: ها برماس نحو افتتاح المسائل الهيدغرية

إن الإختلاف بين فرد و آخر ما هي إلا ظاهرة بيولوجية ، و ما المساواة بينهما إلا ظاهرة أدبية و لم يقصد بالمساواة التجانس البيولوجي ، بل تسيير التعاون بين

([1]) يورغن هابرماس ، مرجع سابق الذكر . ص 50 .

الأفراد (أدبية النوع البشري) ، و هذا من شأنه أن يسهل استغلال اختلافاتهم البيولوجية إلى أقصى حد ممكن في خدمة المجموع([1]).

إن الاختلافات البيولوجية ما هي إلا "تكيّف" البشرية بصورة يمكن أن تؤدي بها واجباتها على أتم وجه , و هذه الاختلافات يعزى بعضها إلى توجيه الوراثة لها ، و بعضها إلى توجيه عوامل البيئة شأنها شأن بقية الأحياء, و مع هذا فإن العادات الاجتماعية التي انتقلت إلينا بالتعلم هي التي تحدد طرق البيئة التي يعيش فيها الإنسان ،و ليس العوامل الطبيعية و العوامل الحيوية كما هو الشأن في الكائنات الحية الأخرى .

و ليس هناك من حد فاصل واضح ، بين الوراثة و البيئة ، فالجينات لا تنقل أية وحدة من وحدات الصفات فيزيائية كانت أم سيكولوجية أو حضارية . لكن الجينات تحدد بالاشتراك مع عوامل المحيط السبيل التي على الفرد أن يسلكها . من هنا يظهر خطر راي سلوترديك,الذي قد يؤدي الى تغليب عامل الوراثة على البيئة.و المساس بما هو واقعي ,فالواقعي مرتبط بالعقل ارتباطا و ثيقا إذ "لا يمكن وجود الحقيقة بدون العقل ، ومن جهة أخرى فمن الواجب أن نضيف أن كل ما هو واقعي هو منطقي في الوقت نفسه"([2]) لأن النقد يجب أن ينظر إليه من حيث أنه وحدة للمعرفة و المصلحة , فكما يؤكد فتجنشتين Wetgenstein "إن الفكر لا يمكن له أبدا أن يكون لا واقعيا"([3]).

([1]) المرجع نفسه ، ص ص 45 – 46 .

([2]) المرجع السابق ، ص 49 .

([3]) Wettgenstein , Tractatus logico philosophicus 3.03.

الواقعي هو المنطقي والاحصائي وهو أيضا المعاش ،الملتبس و الغامض ,

"**الوضوح اذن ليس كل ما يقدمه التفكير الفلسفي بالرغم من ان ذلك هو غرضه الدائم**"([1]) وما يهمنا هنا ليس سوى الحلولية العلمية ، حلولية الفلاسفة التي تتجنب التناقض و هذا هو التفصيل فعند سبينوزا بشكل مفصح و عند فيخت و هيجل بشكل ضمني ، هناك تمييز بين الطبيعة و المعيشة ، و نتكلم عن المعيشة عندما نقصد الكائن الموجود بذاته .

من هنا نستطيع الحديث عن المعرفة الحدسية التي هي غريزة و بكونها كذلك فهي انجذاب ، و هنا يظهر الخلاف بين المعرفة الحدسية و المعرفة البرهانية "الذكاء" ، كما يقول برغسون "بواسطة العلم الذي عمله يفضي إلينا بطريقة أكثر فأكثر كمالا بسر العمليات الطبيعية ، و من الحياة, لا يستطيع أن يجلب و لا يدعي أنه يجلب أكثر من تفسير فيه جمود ، فهو يدور حول الشيء آخذا من الخارج أكبر عدد ممكن من الرؤى حول هذا الشيء ، و يجتذبها إليه بدلا من الدخول فيها ، لكنما الحدس يقود إلى داخل الحياة نفسه ، و الحدس هو الغريزة غير المغرضة الواعية لنفسها ، القادرة على التفكير في غرضها و توسيع آفاقه" ...

---

* إن المشكلات الفلسفية مشكلات زائفة ، سببها سوء فهم اللغة ، أي سوء فهم منطقها ، بالتالي فالمهمة الأساسية التي يجب النهوض بها هي تبيان منطق اللغة ، ولما كانت الفلسفة الغربية ، وفي كثير من تياراتها قائمة على هذا الزيف ، وجب كشفه وتبيانه ، إن الذي نستشفه من أعمال فتجشتين (1889- 1951) أنه يضعنا أمام حقيقة مفادها أننا نعتقد بأننا نصوغ أسئلة ونجيب عنها ، ونقول عنها أشياء تبدو ذات معنى ، في حين أننا في واقع الأمر لا نقول أي شيئ ، حيث أن كثير من الجمل التي نصوغها تكون سليمة من حيث بناؤها النحوي ، وتبدو كما لو أن قائلها وسامعها يفهمان معناها ' في حين أنها غير مقبولة منطقيا ، بالتالي لا تعني أي شيئ ، وهذا هو مصدر الخطأ .(محمد بوزيان دليل وآخرون ، اللغة والمعنى ، منشورات الإختلاف ، ط1 2010، ص 172.)

([1]) مجموعة باحثين ، الفلسفة والأفكار الحديثة ، المكتب العالمي للبحوث ، بيروت ،لبنان ،1983 ، ص 37 .

و يقول آخر" أن المعرفة البرهانية و خاصة المعرفة العلمية تلتقط الشيء من الخارج لا تعطينا عنه سوى نظرة مجردة و نسبية و اصطلاحية نوعا ما ، بينما المعرفة الحدسية هي غريزة غير مغرضة تسمح ببلوغ الشيء بحد ذاته بواسطة انجذاب حقيقي على صعيد ذهني يبدي لنا شعوره الجمالي شبها أخاذا"([1]).

لقد أدت النزعة المادية إلى تشويه لحق بمعنى الحياة الإنسانية,سائقة إياها نحو منحدر زلق وبتعبير أدق"إن هيمنة النزعات الوضعية و الطبيعية و العلموية و فهمها للعلم على أساس النموذج الحديث للموضوعية قد نتج عنه إقصاء لكل الأسئلة التي لها علاقة بالإنسان و دلالة ذلك بالنسبة للحياة : أسئلة المعنى و المصير و الغاية و الحرية ، و هذا هو السبب الرئيسي في ظهور هذه الأزمة حسب هوسرل . أما هوركهايمر و أدورنو فقد أرجعا الأزمة أيضا إلى سيطرة الخطاب الوضعي على العقلانية الغربية عبر تصوره الأداتي و تمجيده للمعرفة العلمية و التقنية ، بحيث تتحول هذه العقلانية إلى أداة طيّعة تستخدم لتكريس أهداف منافية للقيم الإنسانية ، فيغدو الوجود الإنساني وجودا بدون معنى و لا قيمة و لا غاية([2]).

إذن فالبشر ينقصهم التبصر بعمق المسائل , يقول هابرماس:" انطباعي هو ان تفكيرنا لم يبلغ بعد عمق الاشياء خاصة فيما يتعلق بالرابط بين إستحالة الحصول على بدء

([1]) مجموعة باحثين ، علم الإجتماع والوراثة ، ص 63.

([2]) كمال بومنير ، قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت . ص 19.

عرضي لحياة ما ,والحريةالتي على كل ان يحصل عليها ليعطي شكلا اخلاقيا لحايته,فمن المؤكد ان التعمق الكبير في التحليل مازال ضروريا جدا"

هذا العمق,الذي يشير اليه، هل يعني أن الأمر يتطلب إعادة تجنيد الرؤى الحدسية للعالم؟

ماهو الحدس*؟ "الحدس هوهذا النوع من الإنجذاب الذهني الذي ننتقل بواسطته إلى داخل الأشياء لكي نقع على ما هو فريد لا يعبر عنه"([1]),لربما يحاول "مستقبل الطبيعة الإنسانية"ان يحيلنا الى هذا الامر بالذات .ما يعني العودة الى المسائل الهيدغرية التي ساشير اليها.و إذا شئنا الآن معرفة مميزات الحدس نستطيع القول بعد برغسون أنها غريزة و بكونها كذلك فهي إنجذاب ، و هنا يظهر الخلاف بين المعرفة الحدسية و المعرفة البرهانية "الذكاء" ، كما يقول برغسون بواسطة العلم الذي هو عمله يفضي إلينا بطريقة أكثر فأكثر كمالا بسر العمليات الطبيعية ، و من الحياة لا يستطيع أن يجلب و لا يدعي انه يجلب أكثر من تفسير فيه جمود .

فهو يدور حول الشيء آخذا من الخارج أكبر عدد ممكن من الرؤى حول هذا الشيء ، و يجتذبها إليه بدلا من الدخول فيها ، لكنما الحدس يقود إلى داخل الحياة نفسه ،

---

* لكن لا يجب أن نظن أن هناك تناقضا لا يزاح بين المعرفة البرهانية والمعرفة الحدسية ، فهما ليس على صعيد واحد ، فالأولى تفضي إلينا بالنسبي والثانية بالمطلق ، فالفارق بينهما في النوعية لكن الواحدة لا تحدف الأخرى ، فالأولى هي المعرفة البرهانية ، لكنها تسمح لنا بوعي " النسبية " التي يتحدث عنها الفلاسفة العلماء بنفس الصورة لدى هابرماس ليس هناك فاصل بين معارف التمرير ومعارف العمل .

([1])مجموعة باحثين . علم الإجتماع والوراثة ، ص 63 .

و الحدس هو الغريزة غير المغرضة الواعية لنفسها ، القادرة على التفكير في غرضها و توسيع آفاقه...

و يقول آخر أن المعرفة البرهانية و خاصة المعرفة العلمية تلتقط الشيء من الخارج لا تعطينا عنه سوى نظرة مجردة و نسبية و اصطلاحية نوعا ما ، بينما المعرفة الحدسية هي غريزة غير مغرضة تسمح ببلوغ الشيء بحد ذاته بواسطة انجذاب حقيقي على صعيد ذهني يبدي لنا شعوره الجمالي شبها أخاذا .

" الحدس هو النوع من الانجذاب الذهني الذي ننتقل بواسطته إلى داخل الأشياء لكي نقع على ما هو فريد لا يعبر عنه "([1]).

لكنه لا يجب أن نظن أن هناك تناقضا لا يزاح بين المعرفة البرهانية و المعرفة الحدسية ، فهما ليسا على صعيد واحد ، فالأولى تفضي إلينا بالنسبي و الثانية بالمطلق ، فالفارق بينهما في النوعية لكن الواحدة لا تحذف الأخرى ، فالأولى هي المعرفة البرهانية ، لكنها تسمح لنا بوعي "النسبية" التي يتحدث عنها الفلاسفة العلماء بنفس الصورة لدى هابرماس ليس هناك فاصل بين معارف التحرير و معارف العمل.

اننا وبتناولنا لمسائل العمق و الوجود نجد انفسنا و قد ولجنا ارضا هيدغرية ,لنلقى الكثير من التحليلات بين صفحات مؤلفاته,يقول:

([1]) المرجع السابق .ص 63 .

"إ لا نفكر بعد في ماهية الممارسة بشكل حاسم، لذا فنحن لا ننظر إليها إلا باعتبارها نتاج أثر تكمن حقيقته الثمينة في ما يسديه من خدمات وصلاحيات. هذا في حين أن ماهية الممارسة تكمن في الإنجاز، والإنجاز معناه: بسط شيء ما في تمام ماهيته، وبلوغ ذلك التمام، بحيث يكون الإنجاز هو الإنتاج بمعناه الأصيل"([1])

للإقتراب من هذه المسألة عند هيدجر لابد من التفكير في السؤال الذي طرحه هو نفسه بصدد مفهوم الفكر ، ما هذا الذي نسميه فكرا ؟ وما الذي يحث نباهتنا على التفكير ؟ إنهما مشروع وسؤالان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، فكيف نقترب منهما ؟

يرى هيدغر أن " الفكر انصات " إلى " نداء الوجود" . نداء ليس في مقدور الإنسان العادي أن ينصت إليه ، نداء – صوت يأتي صوب المفكر والشاعربوصفهما صاحبي رسالة تكمن في حراسة حقيقة الوجود ورعايتها . إن هذا النداء – الصوت يعمل على انتشال الإنسان من التيه والضلال بغية الإنتباه إلى هذه الحقيقة ، حقيقة الوجود.([2]) من أجل حفظها وصيانتها قبل نقلها إلى الكلمة ورعايتها . وبهذا الحث أو الإنتشال ننفلث من حالة هؤلاء الذين يفعل فيهم القدر ما يشاء([3]) .

([1])Martin heidegger êssais et conférences,ed,gallimard,paris,1958,p163

([2]) محمد طواع ، هيدغر والميتافيزيقا، مقاربة تربة التأويل التقني للفكر ، افريقيا للشرقالمغرب، 2002 ص 51

([3]) المرجع السابق ص 51

رؤية هيدغر هذه ، إلى الفكر وإلى الحقيقة تطرح معها مشكلة الحرية ، حرية الذات وقدرتها على تقرير مصير الفكر . وإلا فما الحرية إن لم تكن حرية الذات ؟ ثم كيف يمكن التفكير في حرية لا يقر في مصيرها بشكل ذاتي ؟

يتجاوز هيدغر مفهوم الحرية كما تحدد في القرن الثامن عشر أو كما تساءل حوله كانط حين طرح سؤال " ما الأنوار" ؟ وذلك لأن الفكر عند هيدغر ليس مجرد انتزاع تجريدي مفهومي ، كما أنه ليس هو الحركة الذاتية للمفهوم كما تصورها هيجل ، أو أنه حدس تدركه الروح كما هو الأمر عند ديكارت . ليس الفكر عمليات منطقية – حسابية أو قواعد منهجية – إجرائية كما يدعي الفكر العلمي – المنطقي اليوم . فلم تكن معظلة التفكير الكبرى – في نظر هيدغر – هي معظلة المنهاج ، أو أنها مسألة انتظام المعرفة طبقا لقواعد المنطق .

إن الفكر عند هيدغر لا يرتبط بالملكات أو القدرات أو الوعي أو القدرة على اكتساب منهج علمي ، لأن الفكر ليس ذاتيا ، وليست "القواعد" التي ينبغي أن يخضع لها الفكر "قواعد

منهج " أو " قواعد المنطق والحساب الرياضي " ، بل إن ما ينبغي أن يستجيب له نداء الوجود وقوله و التعالق معه . وبهذا يصبح الفكر قولا وانصاتا أو صدى لهذا الذي يستجيب له ، ويشد الوثاق نحو هذا الذي أثار السؤال . من هنا يتوحد عند هيدغر ، تاريخ

الفكر وتاريخ الوجود ، ويعتبر أن لهذا الأخير مقاله الخاص ، مقال تكون كتابة المفكرين صدى له ، فيقطن لغتهم([1]).

ولكن كيف نفسر أنه إذا لم تكن الذات هي التي تؤسس فعل التفكير ، فمن الذي يؤسسه إذن؟ ونقصد بهذا السؤال ، ما الذي يثير نباهتنا لكي نشرع في التفكير ؟ هذا وقد قلنا أن ماهية فعل التفكير تتأسس على المهمة المسندة إلى المفكر أو الشاعر ، مهمة حراسة حقيقة الوجود ونقلها إلى الكلمة وإلى الزمان وصيانتها . غير أن هيدغر يرى أنه لا يمكن للفكر أن يقوم بمهمته هاته إلا بتمهيد لابد منه ، يتمثل في تقويض أرض الميتافيزيقا وفلح التربة التي تقيم عليها الفلسفة جذورها ، وهو تمهيد يتم من خلال التفكير في " القضايا" الثلاثة الآتية وبها :

1 القفز من أجل التعالق مع الوجود .

2 القيام بخطوة إلى الوراء أو الإستذكار الذي يمكن من تملك لميتافيزيقا .

3 فعل تسجيل ونقل الوجود إلى اللغة .

إننا ونحن نتأمل هذه " القضايا" يتبين لنا منذ الوهلة الأولى أن هيدغر يرى أن مجاوزة الميتافيزيقا كتمهيد يضع اللبنات الأولى لتفكير ينصت إلى نداء الوجود ، لا تتم من " خارج " الميتافيزيقا نفسها([2]) .

([1]) المرجع نفسه ، ص 52 ,

([2])المرجع السابق،ص53

إنه من غير الممكن انجاز على الوجه الصحيح إلا ما "يوجد" مسبقا، و أن ما "يوجد" مسبقا هو الوجود. وإذا كان دور الفكر هي أن ينجز العلاقة التي للوجود بماهية الإنسان، فإن هذه العلاقة لا تنتج عنه اطلاقا، ولا تشكل من خلاله ، فالفكر لا يعمل سوى على عرضها عن الوجـــود باعتباران ما من الوجود يعود على الفكر ذاته، ان الفكر في الوجود أن يأتي باللغة، واللغة هي مـــأوى الوجود، حيث يقيم الإنسان،ان المفكرين والشعراء هم أولئك الـــذين يسهرون ويحرسون على هذا المسكن، حراستهم ورعايتهم هما الإنجاز التام لتجلي الوجود، إذ من خلال قولهم وبه يحملون إلى اللغة ذلك التجلـــي، ويحتفظون به هناك والفكر قبل كل شيء لم يرق إلى مرتبة الفعل لمجرد أن أثرا ما قد نجم عنه، أو أنه قابل لأن يطبق ، أو يوظف في... إن الفكر يتصرف ويمارس بقدر ما يفكر.

إن هذه الممارسة ما دامت تخص العـــلاقة التي للوجود بالإنسان، فهي على أعظم

تقدير الأكثر بساطة ,لكنها ولنفس السبب الأكثر رفعة في نفس الوقت"([1]). واذا استعنا باحدى حكم سقراط فقد يبدو الأمر أوضح إذ يقول للعالم الرياضي تياتتوس " لن تتجرأ على القول إن المزدوج مفرد ولو حتى في المنام ، وإذا كنا أصحاء أو مجانين فهل نستطيع أن نقنع أنفسنا أن الإثنين هما واحد "([1])

([1])Martin heidegger ,lettre sur l humanisme ;trad,roger munier ed montgne,paris,1964,p61

ان إضافة عناصر جوهرية على الجدال الدائر حاليا حول تشخيص ما قبل الزرع ، و حول الأبحاث الوراثية يبدو امرا ضروريا,ذلك ان الامر يتعلق اساسا بالفكر.هذا ليس معناه أبدا تأسيس خطاب غير واضح,او نظرية غير واضحة المعالم بل على العكس من ذلك نقول مع بوبر "يمكن البث في ما إذا كانت نظرية ما قابلة للتفنيد أم لا في كل الحالات تقريبا بوسائل منطقية صرفة و بالتالي بيقين تام"([2]).

"فإذا كان علينا بادي ذي بدء أن نتعلم كيف نختبر بصفاء ماهية الفكر هذه التي نتحدث عنها، الشيء الذي يعود على إنجازها، فإن هذا يقتضي منا أن نتحرر من التأويل التقني للفكر الذي ترجـــع أصوله إلى أفلاطون وأرسطو. في ذلك العصر كان الفكر نفسه ذا قيمة تقنية , لقد كان سيرورة من الفكر في خدمة العمل والإنتاج لكن الفكر قد تم تمثله آنذاك من وجهة نظر (البراكسيس) الممارسة) والبويسيس (الشعر بمعناه الأصلي: (ولهذا فالفكر إذا ما نظرنا إليه في ذاته ليس ممارسة. هذه الكيفية في النظر إلى الفكر باعتباره "نظرية" (تيوريا ــ)، وهذا التحديد للمعرفة باعتبارها "موقفا نظريا"، حدثا مسبقا في قلب

([1]) Genevieve Rodis_Lewis ,Descartes et le rationalisme ,edition Delta Presses universitaires de France , sixième édition 1996 P 19 .

([2]) كارل بوبر، منطق البحث العلمي ، ترجمة : محمد البغدادي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت .الطبعة الأولى 2006 . ص 527 .

* إن علوم الطبيعة لم تكشف لنا في أي شيئ لغز الواقع الحالي ، أي الواقع الذي نعيش ونسلك ونوجد فيه ، أما الإعتقاد العام الذي يذهب إلى أن هذه في الأصل وظيفتها ، و بأنها لم تبلغ بعد مستوى التقدم الذي يمكننا من أداءها، فقد تبين من خلال التأملات العميقة أنها مجرد خرافة .(نادية بونفقة ، ادموند هوسرل " نظرية عالم الحياة " ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط 2 2011 ص138 .)

وبداخل تأويل تقني للفكر .إنـــها محاولة رجعية وردة فعل استهدفت الحفاظ على ما تبقى للفكر من استقلالية في مواجهة الممارسة و العمل.

ومنذ ذلك الحين و"الفلسفة" في نـــزاع دائم مع ضرورة تبرير وجودها أمام الـــ"علوم"*. ولقد ارتأت أن النجاح المؤكد في هذه المهمة هو أن ترتقي بنفسها إلى مرتبة العلم. لكن هذا المجهود كان في حقيقة الأمر هو التخلي الفعلي عن ماهية الفكر .لقد بات يلاحقها الخـــوف من ضياع مكانتها وصلاحيتها إذا هي لم تصر علما. إننا نقف هنا على ما يشبه نقصا يناط بما ليس ــ علمويا. هكذا تم ترك الوجود من حيث هو عنصر الفكر تحت رحمة التأويل الذي أصبح معمولا به منذ عصر السفسطائيين وأفلاطون ."ومن ثمة أصبحنا نحكم على الفكر حسب قياس ليس من طينته .هذه الكيفية في الحكم تشبه إلى حد بعيد، تلك الطريقة التـــي تروم التعرف على ماهية الأسماك وأصولـــها من خلال القدرة التي لـــها على العيش في اليابسة .وقد أبان الفكر عن فشله في اليابسة هذه منذ زمن بعيد وبعيد جدا. فهل يجوز لنا الآن أن ننعث هذا المجهود الذي يسعى إلى إرجاع الفكر إلى عنصره، بكونه "نـــزعة لاعقلانية"

مثل هذا السؤال يستدعي الإجابة السريعة,إجابة تتعلق مباشرة بإعطاء معنى للنزعة الانسانية

يقول هيدغر:

"إنه إذا دخلنا في نمط تفكير يمارس إنطلاقا من الوجود فإن العثور على الغيرية أو الذات يصبح لعبة مسالك حقيقية ، و يمنحنا التبصّر امتلاك رؤية فضلى لهذا المصدر الذي هو الآخر,الذي يمنح للحياة معنى، و للمبادلة و كلية الوجود و للذي يكون،الآخر هو ذلك الذي يتجه إليه الفكر ، ذلك الذي ينصرف إليه ، و علّة وجود الكلام هو ذلك الآخر الذي نكونه و الذي ينصرف إليه الكلام . لا يمكن تصور الجملة الاسمية دون الخبر الذي تمثله الغيرية*، فتصبح الغيرية بفعل حركية الوجهة ، شرط ضروري للوجود في العالم ([1])

تغيرت قواعد اللعبة إذن ، لم يعد الأمر يتعلق بتحديد علاقات المعنى ، بل بتعيين استقبال الحقيقة و الاستعداد إلى ذلك الاستقبال . إنها أسئلة دقيقة جدا تتطلب وظيفة خاصة تسمى "وظيفة الماوراء" ، فما هذه الوظيفة ؟([2])

في اللغة اليونانية تعني "ميتا" ما وراء ، فما وراء الطبيعة هو ذلك العلم الذي يجد نفسه في ما وراء الفيزياء ، التي تعني دراسة العلم المحسوس . فوظيفة الما وراء تسمح بأخذ مكان في " ما وراء "معين يمكننا انطلاقا منه أن نتخذ وضع الملاحظ ، و نتمتع

---

* الغيرية في هذا مولدا للعلاقة ، ولكننا إذا عرفنا الغيرية باعتبارها مولدا للعلاقة وضامنا لها ، هذا يندرج بشكل طبيعي ضمن عمل هيدغر الأول . هذا التعريف منطبق تماما في النهاية لمثل ذلك الفكر تكمن الصعوبة الآن بكاملها في الرحلة التي نقوم بها نحو الفكر الثاني ، أو حسب التحقيق الدقيق الذي أجراه " جان غرايش " في " La parole Heureuse نحو المرحلتين الثانية والثالثة من فكر هيدغر ، حيث امتازت الثانية بالبحث عن الحقيقة ، في حين امتازت الثالثة بطوبولوجية الوجود .

([1]) كاني لوبلان ، لقاءات الغيرية عند هيدغر الثاني ، ترجمة عاشور فني ، مجلة أيس ، ع ، ص 37 .

([2]) المرجع نفسه ، ص 37 .

بالحرية الضرورية لذلك ، فما يلزمنا الحصول عليه حقا هو موقع الملاحظ في خطابنا حتى يمكننا الحديث عن استقبال الحقيقة ، و هي الطريقة التي تعبر بها عن نفسها و تمارس بها و تفكر بها .

و سيتمثل البديل حينئذ في الذوبان التام في هذه الحقيقة ، و لكن يظل من المخاطر إنتاج خطاب لا يملك هوية خاصة ، و لا يسمح بذلك اللقاء الحقيقي الواعي الذي يتيحه الاختلاف و التمايز([1])

إن إنتاج مجتمع يتشابه افراده نساليا معناه –على ان يكون مثاليا من نوع ما تصوره هتلر–,هو خطا بليغ,يقضي على التمايز والتنوع و الاختلاف,

إن موقف الشرح أساسي هنا ، أولا على الاختلاف ، على هذا الذي – بين اثنين – يسمح بمسافة الحوار و التفاعل و التحفيز ، و لكن يسمح بالإصغاء أيضا ، فالغيرية هي الآخر ، هذا الآخر الذي لسته ، فهو يؤسس الهوية و الفرادة([2]).

تشكل وظيفة الما وراء شكلا من الغيرية لأنها تمثل المكان الذي منه تتناول النص في الاختلاف الذي يمنحنا إياه , و بالفعل فإن التقنية كما يفهمها هايدغر ، و إن كانت ضرورية ، يمكن أن تقود الإنسان بعيدا عن اصوله ، بعيدا عن الوجود ، بعيدا عن نفسه ، فهذه المسافة إذن ليست وجودية ، و لكنها مسافة أنطولوجية ، و في هذه المسافة

([1]) المرجع السابق ، ص 37 .

([2]) المرجع نفسه ، ص 37 .

يختفي الآخر ، موضوع الفلسفة المعاصرة لنتخيل اذا مدى الكارثة التي ستحل على الفكر ,ادا ما وقع تغيير من نوع المنحدر الزليق .

هذا الاخر الذي أصبح يسمى في اللغة الأنطولوجية "دازاين" يفقد مكانه بوصفه ذاك" ليصبح فردا ، معدودا شمله حساب الإنتاج ، كما لو كان داخل فقاعة من زجاج ، كما لو كان مجردا من علاقته بالغير ، حتى أن نسيان الوجود هو نسيان للآخر أيضا . الغيرية تشكل الشرط الميتافيزيقي بامتياز ، فمن دونها لا يوجد معنى و لا إشارة و لا هبة ."([1]) .

يقول هيدغر "حين يكون الفكر على مقربة من أفوله مبتعدا عن زمنه، يستعيض عن خسارته تلك بأن يضمن لنفسه قيمة تقنية كأداة للتشكله، ليصبح عاجلا تمرينا مدرسيا وينتهي بان يتحول إلى ما يشبه المشروع الثقافي. وشيئا فشيئا تصبح الفلسفة تقنية للتفسير من خـــلال العلل والأسباب الأولى. وبهذا نكف عن التفكير وننشغل ب "الفلسفة". وفي لعبة التسابق والتنافس هذه، تقدم مثل هذه الانشغالات إلى المجال العمومي في صورة نـــزعات تنـــزع إلى المزايدة والمضاربة. وتجاوز مثل هذه الملصقات وهيمنتها لا يرجع في شيء إلى الصدفة، وإنما يرتكز على ديكتاتورية الإشهار الخاص، بالاخص في الأزمنـــة الحديثة. فما ندعوه وجود خصوصي، ليس هو المهم ذلك الكائن الإنساني الحر، بل مجرد تصلب لنفي ما هو عمومي."([2]).وهنا يظهر العمومي حسب هيدغر و كانه

([1])المرجع نفسه ، ص 37 .

([2]) Martin Heidegger, Lettre sur l'humanisme, p19.

الغريب،لأذكر بقول لبيير بودو"يقبل الانسان كجميل ما تعلن الغالبية انه كذلك (...) يسمى غريبا التباعد بين جميل الجميع،وفكرته عن الجميل"([1])

لهذا السبب تسقط اللغة نفسها في خدمة الوظيفة التوسطية لوسائل المبادلة التي تستطيع الموضعة بواسطتها، من حيث هي ما يجعل كل شيء فـــي متناول الجميع على نحو متشابه، أن تذهب إلى حد الاستهانة بكل الحدود ....هذه الأخيرة هي التي تقرر مسبقا بصدد ما هو قابل للفهم وما هو بخلاف ذلك فينبغي التخلي عنه وإقصاؤه* ([2])

([1])بيير بودو،نتشه مفتتا،، ص119

([2]) Ibid,

* إن إهتمام هابرماس باللغة و المعنى والحقيقة والتواصل والبرهنة المرتبطة بشكل أساسي باشكالية مركزية متعلقة بالعقلنة hhوالحداثة ، استدعى منه تطويره وتعميقه بتلك القاعدة النظرية التي ينعتها بالتداولية الكلية Pragmatique Universelle والتي يرى وظيفتها تتمثل في إعادة بناء شروط الإمكان الكلية للتفاهم ، على اعتبار أن كل فاعل تواصلي يقوم بفعل للكلام مضطر للتعبير عن ادعاءات الكلية للصلاحية على أساس أن يقدر على تبريرها للمشاركة في أي عملية من عمليات التفاهم ، بمعنى آخر أنه يتعين على كل متكلم أن يعبر تعبيرا معقولا لكي يتمكن الطرفان من تفهم الواحد للآخر ، و المتكلم يجب أن تكون له نية توصيل مضموم قضوي حقيقي لكي يتمكن المستمع من مشاطرة معرفته ، و على هذا المتكلم أيضا أن يبرهن بصدق لكي يتمكن المستمع من تصديق تلفظ المتكلم . و أخيرا يتعين على المتكلم =اختيار تلفظ دقيق بالقياس إلى المعايير و القيم الجاري بها التعامل لكي يتمكن المستمع من قبول هذا التلفظ ، هذا للاتفاق على التلفظ ذي الخلفية المعيارية (–دليل محمد بوزيان و آخرون ، **اللغة و المعنى** ,منشورات الاختلاف,ط1 ,2010 ص 305)

التداوليات الكلية أو البراجماطيقا العامة هو إذن مشروع لإعادة بناء التعامل (التفاعل) التواصلي المثالي ، و يقوم على ثلاث نظريات مفتاحية ، اثنان منهما ينسبان إلى التراث اللغوي الأنجلوسكسوني و الثالثة تنتمي للغويات السيكولوجية الألمانية .

الهاجس الذي يحرك تفكير هابرماس بخصوص الحقيقة ، فإنه يتعلق بالفرضية الأساسية لنظرية "الحقيقة – التطابق" ، و هو يصوغ سؤاله بالطريقة التالية : "ما هي العلاقة الموجودة بين الوقائع التي تثبت و موضوعات تجربتنا ؟" و يقول هابرماس إنما يحق لنا غثباته نسميه واقعا ، و الواقع هو ما يشكل حقيقة ملفوظة ما ، لذلك نقول بأن الملفوظات تترجم و تصف و تعبر عن وقائع ، و يعتبر هابرماس أنه في سياق البرهنة يمكن أن نعتمد على التجربة ، و لكن لكي نعتمد منهجيا على التجربة في حالة التجريب مثلا فإننا نضطر للرجوع إلى تأويلات لا يمكن أن تتضح صحتها إلا داخل المناقشة ، و بالتالي فإن التجارب تصبح كقواعد استنادا لادعاء الحقيقة التي تعبر عنها التأكيدات ، و طالما لا نواجه تجارب غير مطابقة ، فإننا نتمسك عموما بهذا الادعاء للحقيقة ، غير أن هابرماس يرى أن كل ذلك لا

إن نصا مثل ماذا يعني التفكير ؟ يجعل من الود شرط تعلّم ، الشرط المعرفي بامتياز ، وسنقول أنه في الهدف الذي يسعى إليه الإنسان للتعرف عليه و معرفته ، يوجد انعكاس الذاتية مخيرا عن الغيرية و مثيرا كل الرغبة الابستمولوجية ، هكذا يبدأ الحوار . إن الغيرية تحملنا على طرح مسألة الوضع المعرفي ، للمعرفة لذا هايدغر ,وفي مضامين فلسفة هابرماس، لأنه إذا كان التفكير يعني العثور على الودّ ، فإن المعرفة حينئذ تحمل أيضا الغيرية .وهذا الذى ياخده هابرماس على محمل الجد,انها مسالة حضور وغياب ،فكما هو حال بريدنا الإلكتروني الذي يقع بين الخيال الممكن والواقع الحاضر عن قرب ، فهو موجود بين الطيف والواقع وهو حاضر وغائب ، مما يحطم جدلية الحضور والغياب . فهو طيف من حيث أنه غير مرئي لكن استحضاره كواقع ممكن في كل الأوقات وكل الأمكنة ، بحيث يتعالى على الزمان و المكان لكي يحضر في كل مكان و زمان ، سواء كنا في استراليا أو في أدغال بوليفيا . فهو معلق بين السماء والأرض غير مثبت في زمن ما أو مكان ما ، إنه الغائب والحاضر دوما . إن وجوده غياب وغيابه حضور ، بمعنى

يكتسب مصداقيته إلا بواسطة براهين لأن ادعاء مؤسسا على التجربة =ليس ادعاء مبررا بشكل مباشر ، و يعترف هابرماس أن مفهوم الحقيقة في التراث الفلسفي كان دائما يأخذ بعدا أكثر تجريدا و اتساعا مما يسميه ب "حقيقة الملفوظ" ، و كثيرا ما اتخذت الحقيقة معنى "العقلانية" غير أن هابرماس يحدد ما هو عقلاني ليس فقط بالإثباتات ، و لكن أيضا بنماذج أخرى من أفعال الكلام مثل المعايير و الأشخاص ، و يعتبر هابرماس أن هناك على الأقل أربع أنواع من ادعاءات الصلاحية و هي المعقولية ، الحقيقة ، الدقة ، الصحة ، و هذه الادعاءات تشكل كلا يمكن تسميته بالعقلنة و لهذا السبب يرى هابرماس أن صياغة نظرية إجمالية للحقيقة يجب أن لا تقتصر على حقيقة الملفوظات لأن المسألة تدخل فيها اعتبارات الدقة و الصدق و المعقولية ، ثم إن الإجماع يكمن بالضبط في كون هذه الادعاءات الأربعة يجب أن يكون معترفا بها من طرف المتكلمين و المشاركين في المحاورة أو المناقشة (نور الدين أفاية ، **الحداثة و التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة نموذج هابرماس** ، دار إفريقيا الشرق ، المغرب ، ط2 ، 1998 ، ص 65) .

أنه بين البعد الغائب والبعد الحاضر ، انظاف بعد ثالث لم يكن الجنس البشري قد أبدعه الإنسان من قبل : الوجود الإفتراضي .

وبالتأكيد إن تلك الحدود الطبيعية التي دأبنا عليها منذ زمن يتم اجتثاثها اليوم تباعا في حقل علوم التقانات الأحيائية والنانوية والمعلوماتية ، مما يمهد بدوره أن يصيب فهم الإنسان الذاتي برجة أخلاقية كبرى تتبدل معها معاييره بحكم القوة أو الضرورة ، بحيث أظهرت الإحيائيات التقنية إلى السطح جدلا حادا بين فهمنا الأخلاقي للذات البشرية ، وما نبتغيه للنوع البشري من أخلاقيات ومعايير تصونه وتنير له الطريق . وهو ما يطرح سؤالا عصيا : كيف نفهم ذاتنا أنتروبولوجيا على ضوء انتمائنا إلى فصيلة بيولوجية من نوع

معين ؟([1])

يحتوي "الوجود والزمان" على إشارة إلى البعد الجوهري للغة تلامس هذا السؤال البسيط : على أي نحو من الوجود توجـــد اللغة واقعيا كلغة ؟ إن اجتياح اللغة الذي طال كل الأنحاء وبوتيـــرة سريعة، لا يتوقف فقط على المسؤولية ذات الطابع الجمالي والأخلاقي

التي نتحملها في استعمالنا للكلام. بل يصدر عن وضع ماهية الإنسان موضع الخطر.

([1]) مجموعة باحثين ، يورغن هابرماس العقلانية التواصلية في ظل الرهان الإثيقي ، مرجع سابق ، ص 96 .

وليست العناية البالغة التي قد نبديها في استعمالنا للغة، بدليل على أننا تخلصنا من هذا الخطر الجوهري، بل قد يكون اليوم دليلا على أننا لا نرى أبدا هذا الخطر، ولا يمكننا أن نراه لأننا لسنا بعد معرضين لبريقه. إن انحطاط اللغة الذي أصبحنا نتحدث عنه منذ وقت قريب وحتى وقت متأخر، ليس في جميع الأحوال سببا، بل نتيجة لسيرورة بموجبها خرجت اللغة شبه مرغبة تقريبا من عنصرها تحت سطوة الميتافزيقا الحديثة للذاتية. إن اللغة من حيث هي مأوى حقيقة الوجود، ما تزال تحجب عنا ماهيتها، رغم أنـــها تقدم لنا نفسها في محض ما نريد وفي ممارساتنا كأداة للسيطرة على الموجود، حيث يتجلى لنا هذا الأخير نفسه في نسيج العلل والنتائج باعتباره الواقعي، فنعالجه من جانبا بـــما هو كذلك ليس فقط بموارية الحساب والممارسة، وإنما أيضا بواسطة علم وفلسفة ينهجان التفسيـــر والتعليل. مع أننا نسمح لهما بدون شك، بالتخلي عن جزء مما ليس بقابل للتفسير([1]).

ولكن، أليس في دعوة الوجود هذه للإنسان، كما في محاولة إعداد الإنسان لـــهذه الدعوة، مجهودا يهم الإنسان ذاته ؟ ما هي غاية "الـــهمّ "إذا لم تكن هي إعادة تشييد الإنسان في ماهيته ؟ هل يعني هذا شيئا آخر غير جعل الإنسان إنسانا ؟ هكذا تحظى الإنسانية بمكانتها في قلب مثل هذا الفكر، لأن النـــزعة الإنسانية تقتضي ما يلي : لنفكر ونحرص على أن يكون الإنسان إنسانا لا "همجيا"، أي خارج ماهيته .والحال أين تكمـــن إنسانية الإنسان ؟ إنـــها تستقر في ماهيته .

([1])Martin heiegger,lettre sur l'humanisme ,p31

كيف وانطلاقا مماذا تتحدد ماهية الإنسان ؟ إن ماركس يلح على أن "الإنسان الإنساني" تجب معرفته والاعتراف به. وقد وجد هذا الإنسان في الـــ "مجتمع". إن الإنسان "الاجتماعي" بالنسبة له هو الإنسان "الطبيعي". إذ في "المجتمع" تؤمن بشكل منتظم "طبيعة" الإنسان، أي مجموع "حاجياتـــه الطبيعية" أما المسيحي فيرى إنسانية الإنسان في تقاطعها مع الصفات الإلهية .فمن منظور تاريخ الخلاص، يكون الإنسان إنسانا باعتباره "ابن الله" الذي يبصـــر نداء الأب في المسيح فيستجيب له. إنه ليس من هذا العالم مادام الـــ"عالم" مفكرا فيه على نحو أفلاطوني/نظري، ليس سوى ممر عابر نحـــو الماوراء .ولأول مرة تعرف فيه الإنسانية ويشار إليها صراحة بـــهذا الاســـم، كان ذلك في عهد الدولة الرومانية، حيث الإنسان الإنساني يتعارض مع الإنسان "البربري". لقد كان الإنسان الإنساني هو الروماني الذي يعظم ويعلي من شأن المهارة الرومانية من خلال "إدماج" ما كان قد باشره الإغريق تحت اسم الـــ"بيديا" (لتكوين). والإغريق هنـــا، هم أناس الهلينستية المتأخرة ذات الثقافة الملقنة في المدارس الفلسفية. هذه الثقافة تختص بالتنقيـــب والتأسيس في الفنون الجملية. وقد كانت (البيديا) مفهومة على هذا النحو تترجم بالإنسانية. وفي مثل هذه الإنسانية تكمن بحق رومانية الإنسان الروماني. هكذا انعثر على أول نزعة إنسانية في روما، وبهذا تكون الإنسانية في ماهيتها تجليا رومانيا محضا صادرا عن التقاء بين الرومانية والثقافة ذات النـــزعة الهلينستية المتأخرة.

ان التغلغل داخل نص هابرماس باستخدام ادوات هيدغرية قد يمنحنا فهما افضل للنزعة الانسانية ولكن، إذا كنا نفهم من النزعة الإنسانية بصفة عامة ذلك المجهود الذي يرمي إلى جعل الإنسان حرا في إنسانية، ويخول له اكتشاف كرامته، فإن النـــزعة الإنسانية ستختلف والحالة هذه حسب المفهوم الذي لنا عن الحرية وعن طبيعة الإنسان. كما ستختلف بنفس الكيفية وسائل تحقيقها.([1]) فالنزعة الإنسانية عند ماركس لا تقتضي أي رجوع إلى العهد القديم مثلها في ذلك مثل النـــزعة الإنسانية التي يدرجها سارتر تحت اسم: الوجودية. والمسيحية بدورها إذا ما نظرنا إليها بالمعنى الواسع المشار إليه سابقا، تمثل أيضا نـــزعة إنسانية من حيث أن كل شيء في مذهبها رهين بخلاص الروح، وإن تاريخ الإنسانية يندرج في إطار تاريخ الخلاص هذا. ومهما اختلفت هذه النـــزعات الإنسانية وتعددت من حيث هدفها، أساسها، نـــمطها ووسائل تحقيقها أو من خلال شكل مذهبها، فهي تتفـــق مع ذلك حول هذه النقطة الجوهرية وهي أن إنسانية الإنسان الإنساني تكون دائما محددة انطلاقا من تأويل معد سلفا للطبيعة والتاريخ والعالم وأساس العالم، أي الموجود في كليته([2]) .

إن الحرص الدائم إتجاه الاحكام هي سمة فلسفة هيدغر, أنه يشير باستمرار الى تميز الإنسان ,وخطورة موضعته يقول هيدغرانه بإستطاعتنا أن نـــموقع الإنسان داخل الموجود كموجود بين الموجودات الأخرى، فيكون بإمكاننا دائما أن نصدر في حقه

([1])بيير بودو،نتشه مفتتا،ص119بتصرف

([2])Ibid,p163

عبارات صائبة. ولكن علينا أن نفهم جيدا أننا بـــهذا ندفع بالإنسان إلى المجال الماهوي للحيوانية حتى وإن كنا نخصه باختلاف جوهري لنبتعد عن مماهاته بالحيوان. إذ مبدئيا سنفكر دائما في الإنسان الحيواني حتى وإن افترضنا أن هذا الحيوان حي وعاقل، واعتبرناه بعد ذلك ذاتا أو شخصا أو روحا. ومثل هذا الموقف هو ما تتجنبه الميتافزيقا. لكنه تقدير ناقص لماهية الإنسان، مادام لم يفكر فيها من خلال مصدر حصولـــها؛ ذلك المصدر الماهوي الذي يظل باستمرار بالنسبة للإنسانية التاريخية المستقبل الأساسي ([1]).

أما ما يدعوه الوجود والزمان بالسقوط، هو نسيان حقيقة الوجود بفعل اجتياح للموجود غير مفكر فيه في ماهيته. وكلمة "سقوط" هنا لا تشير إلى خطيئة الإنسان بالمعنى الفلسفي الأخلاقي وقد جرد من سياقه الديني، أي بالمعنى الوضعي ,من هنا بالضبط يدعونا هابرماس على طريقة هيدغر الى الحرص حين اتخاذ القرار,

يذكر لنا هيدغر جوابا لأرسطو "لنكتفي في هذه اللحظة بالإشارة فقط، بذكر الشعر. فهذا الأخير يتموكز أمام نفس السؤال وبنفس الكيفية مثل الفكـــر. والكلمة التي قالها أرسطو في كتاب الشعر، تظل دائما صالحة ومحقة، وهي إن الإبداع الشعري أكثر حقيقة وواقعية من التحري المنهجي للموجود.([1])

لقد ظهر العلم الحديث باسم العقل ، أمر أنشا لدى فرويد تحديا ضمنيا اتجاه العقلانية ذاتها،فقد طرح للعالم وبالاخص عالم الطب ،النظرية التي ترى ان السلوك الذي

([1])Ibid.p59

يبدو لنل غريبا وغير عقلاني هو في الحقيقة قابل جدا للتفسير ([2]) ،وما نرى هابرماس الا كفرويد معاصر يحاول حل الأزمة الجينية ،مع الحفاظ على منجزات العقل الحديث و الدفاع عن مبادئ عصر الأنوار، إلا أن ما هو متطلب جدا هو النزوح من أوحادية المعرفة الحسابية إلى معرفة اخر بأكثر واقعية فالمعرفة البرهانية بنسبيتها تتطلب معرفة أخرى ، معرفة المطلق ، تلك المعرفة هي الحدس الذي يجب أن ننعته بالميثافيزيقي ، و الذي لا يجب أن نمزجه مع الحدس الظاهري ، أكان إحساسيا ام سيكولوجيا ، و لا مع الحدس العقلي مثلا ، حدس الأحكام الثابتة ، أو العدد الصرف "حدس البداهة" ، و لا مع الحدس الإلهي أو حدس الاختراع الذي يجعلنا نشتم الحقيقة . إن هذا الحدس* الميتافيزيقي هو الذي يواجهه بشكل انجذاب ذهني ، ليس برغسون وحده ، و انما ديكارت من قبله فيما يختص بالأنا .

لكن يبدو أن حدسا كهذا من شأنه أن يثير صعوبة تجدر الإشارة إليها ، و في مثل هذه الأحوال من الواجب أن نقول مع ديكارت ، بما يختص بالأنا : إن هذه الأنا تظهر كما تظهر بقية حالات وعينا ، إذن و هنا تكمن الصعوبة إذا ظهرت الأنا هل نستطيع أن نتخاصم حول وجودها ؟

([1])Martin heidegger,ontologie,hermenutique de la factité , traduit Alain Boutot,edition gallimardfrance,1995p126

([2])سلمان بونعمان،امانويل والرستاين،علم الاجتماع الغربي،مساءلة و محاكمة،مجلة اضافات ،ع16 ،مركز دراسات الوحدة العربية،لبنان،2011، ص178 بتصرف

يبدو انه من المستحيل أن نتخاصم حول وجودها ، و لا بأية حال من حالات الوعي ، لكن هنالك جدال في ذلك ، و يكفي حتى نقتنع أن نعود إلى نظرية هوم الحادثية التي تعتبر أن الأنا لا تعطي للوعي الذي بدوره يعتبر أن الأنا ليست حدثا و لا يمكننا أن نرى فيها سوى مفهوم بسيط بواسطته يفكر العقل حول مجموعة "الأنات" الظاهرية *، والأنا الطبيعية و الأنا السيكولوجية و الأخلاقية و الاجتماعية([1]) .

الحدس الظاهري يقدم العدة الضرورية لكل بناء روحي ، و حدس البديهة يقدم حقائق بديهية بحد ذاتها ، و الحدس الإلهي يجعلنا نشعر بالحقيقة مع التصحيح و المراقبة([2])

و بشكل أدق نرى أنفسنا سائرين في تحديد الصلات بين الحقيقة و الحرية ، و بين الحقيقة و الإحسان ، وكل ما رايناه من حجج تجعلنا نعتقد بان الانسان كائن روحي،ومادي, وهو ما يشعره بنزعة القداسة اتجاه غيره،يقول سنيكا"ان الانسان شيء مقدس بالنسبة للانسان"([3])

---

* ليس علينا الآن أن نخوض نقاشا مع القائلين بالأحداث كهيوم و ستيوارث ميل ، و أن نبين أن الأنا ليست مفهوما بسيطا ، بل جوهر روحي ، لكن ما يجب ابانته هو أنه من العسير القبول بأن هذه الوحدة الموجود في مختلف الأنات الظاهرية تلك الوحدة الواقعية لا وحدة المجموعة ، خلافا لما يزعمه القائلون بالأحداث أو أن هذه الوحدة تدرك على حدة كما يدعي الحدسيون تلك هي الصعوبة التي يبديها الحدس الميثافيزيقي الذي تكلمت عنه . (– مجموعة باحثين,علم الاجتماع و الوراثة ,ص65)

([1]) مجموعة باحثين ، علم الإجتماع والوراثة ، مرجع سابق ، ص ص 64 ، 65 .

([2]) المرجع نفسه ، ص 66 .

([3]) Le grand attlas,la philosophie ,des présocratiques a jean–paul sartre,edition atlas,Espagne,octobre ,2006,p305

الخـــــــــــــاتـمة

الخاتمـــــــــــــــــــــة:

لقد سمحت لنا دراسة موضوع التقنيات الطبية و قيمتها الاخلاقية بإستخلاص النتائج التالية:

– إن نظريات العدالة بانفصالها عن الممارسة الأخلاقية لا يمكنها إلا أن تتوقع وجود سيرورة تحول اجتماعي ووجود أشكال لحياة سياسية مواتية.

– إن ما ينقص هو الحماسة التي تتيح تحويل الأحكام الأخلاقية إلى ممارسة.

– إن ما يضعه العلم تقنيا يجب أن يكون خاضعا للرقابة الأخلاقية ما تجعلنا بالمقابل ولأسباب معيارية غير قادرين على التصرف بها على هوانا.

– إن تفكيرنا لم يبلغ بعد عمق الأشياء خاصة فيما يتعلق بالرابط بين استحالة الحصول على بدء عرضي لحياة ما والحرية التي على كل شخص أن يعيشها.

– إن النقاش الفلسفي يمكن أن يتخلص من الاستقطابات العميقة المرتبطة برؤى العالم ليرتكز على موضوعات الفهم الأخلاقي الأكثر توافقا والتي بإمكان الجنس البشري أن يكونها لنفسه.

– إن منطق المعالجة الطبية باستعمال شخص ثان في طور التكوين إذا لم يتم تنظيمه وتقنينه بغاية عدم استعماله بمنطق الأداتية والحسابية يعني السقوط لا محالة في تحسين النسل وفق قواعد السوق. ولذلك ، فإن أحد نماذجه الشائعة اليوم كالتحسين من

وظائف أعضاء بيولوجية والرفع من قدرات الإنسان العضوية والذهنية تمارس إغراءا كبيرا ، وهو أمر لا يمكن اللجوء إليه هابرماس دون الوقوع في المحظور .

– خضاع المعيارية للنزعة الطبيعية والعلموية ، وهو ما يؤدي بالنمطق الإنساني إلى إرتكاب خطأ فادح ، تتسيد بموجبه الطبيعة على الثقافة ، أي تسيد منطق التقنية على قيم الإنسان الذي كان يظن أنه يسيطر عليها أو على الأقل يتحكم بها ، في حين أنه يتبعها في الحقيقة صاغرا ومستسلما لمنطقها ولطلباتها .

– إن تحسين النسل من وجهة المنظور الليبرالي يقود بصفة موضوعية إلى إعتبار الكائن كموضوع يتم التدخل فيه بمواصفات معينة مرغوب فيها . غير أن هابرماس لا ينكر في هذا الباب من جهة أخرى ، وجود مقاربة طبية محض علاجية موجهة وفق منظور ذاتي يستند على شرعية طبية ، تشي بقبول المعالَج ومرافقته في المستقبل على ذلك التدخل الذي وقع جيناته وهو ما يزال في طور التشكل حتئ يولد معافيا وسليم البنية مثلا .

– لكن هابرماس يرحب بجميع تقنيات العلاج الوراثي التي لا تمر عبر استخدام جنين بغاية معالجة آخر ، ما دام الأفق الذي يوجه فلسفته النقدية الإجتماعية يقوم على احترام حرية الفرد أولا وأخيرا ، بحيث تمنع هذه الحرية أن يصبح الجنين محض أداة أو بغاية خدمة جنين آخر موجود أو أن يسخر لغاية أو رغبة معينة ينشدها الآباء . لذلك يجب أن

لا نتعدى مطلقا حاجز الأداتية بأن نجعل الفرد الموضوع للبرمجة كقربان بغاية معالجة آخر ، فالإنسان مكرم لذاته وتحترم آدميته قبل كل شيئ.

– على البحث الفلسفي أن يستقصي بعمق الشؤون المتعلقة بطبيعة المجتمع البشري في ما يتعلق بالمساواة والطبقية ، والجنس ، وخطورة تحويل شؤون السياسة من الموضوعات من اختصاصات الطب .

– إن الروابط بين القيم والمعرفة هي جزء متكامل من ممارسة العلم في المجتمع .

– إن فصل الحقيقة عن القيمة والتطبيق عن النظرية والعلم عن المجتمع هي من الأفكار التبسيطية التي من شأنها تفتيت المعرفة .

– إن العالم لا ينمبغي أن يفهم كما تريده الحتمية البيولوجية ودعاة المنحدر الزلق كما يحلو لهابرماس تسميتهم ، إذ هي دعوى مغلوطة في تفسير العالم .

لقد عرفت الفلسفة الحديثة مع كانط وروسو تحولا لمسألة السعادة ، وتعويضها بمسألة سياسية أخلاقية ، تتضمن مثل العدالة والمساواة والحرية ، هذا المشروع الذي سعى فيه هيجل إلى تحقيقه في التاريخ وذلك يتم بواسطة ممارسة ثورية ، هذه الممارسة التي وجدت لها مكانا في فلسفة ماركس، وضمن هذا المسار الوظيفي للفلسفة يعتقد هابرماس بوجوب رفع الفلسفة إلى علم اجتماعي بتحويل العقل الفكري الفلسفي إلى نظرية نقدية مرتبطة بالعلوم التجريبية ، وهذا ما يسميه هابرماس بعلوم إعادة البناء الإجتماعي

التي من شأنها تأسيس حوار ووضع فروض تجريبية للمشاركة العلمية الفعلية التي تمارس في الحياة اليومية بالتعاون مع العلوم الأخرى ، مع الحفاظ على الطابع الكلي للفلسفة .

إن هابرماس فيلسوف أنوار حسب تعبير جان فرانسوا دورتييه فهو يشترك معهم في توظيف الواقع وتحقيق مجتمع عادل ، ولا يتم هذا الأمر إلا بشروط لا بد أن تتوفر في الفيلسوف الذي لا ينتظر الإشارة من الهيئات سياسية كانت أم اجتماعية ، وعليه الإهتمام بالمسائل المعيارية كالتكنولوجيا الجينية والهندسة الوراثية وما يترتب عنها من مسائل أخلاقية جمعوية متعلقة بالهوية ، وخاصية النوع الأدبي للجنس البشري .

إن هابرماس رغم إنتقاده لهيدغر يلتقي معه في كتاب مستقبل الطبيعة الإنسانية ، ضمنيا في مسألة التواصل الكينوني ، فالبشر حسب هابرماس بحاجة إلى العمق في ظل إنتشار الفكر العدمي.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر باللغة العربية :

1. يورغن هابرماس .المعرفة والمصلحة .ترجمة : حسن صقر ، دار الجمل ، كلونيا ، ألمانيا ، الطبعة الأولى 2001.

2. يورغن هابرماس ، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو رسالة لبرالية ، ترجمة جورج كتوره ، المكتبة الشرقية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 2006 .

3. يورغن هابرماس ، العلم ةالتقنية ك " اديولوجيا " ، ترجمة حسن صقر ، منشورات الجمل 2003 .

قائمة المصادر باللغة الأجنبية :

1. Habermas Jurggen : Areply to my critics in habermas critical Debates , Edited by John B.Thomspson and David held , The mit press , Cambridge , Massachusettes , 1952
2. .Heidegger Martin , Lettre sur L'Humanisme , Traduit et présenté par Roger Munier , AUBIER, Editions Montaigne , Paris 1964.
3. Heidegger Martin, êssais et conférences, ed,gallimard ,paris ,1958.
4. Heidegger Martin,ontologie,hermenutique de la factité , traduit Alain Boutot,edition gallimardfrance,1995p126
5. Pichot André,l'eugénisme,ou les généticiens saisis par laphilanthropie,ed,Hatier,paris,1995

6. Wettgenstein , Tractatus logico philosophicus 3.03.

قائمة المراجع باللغة العربية :

1. أبو السعود عطيات. الحصاد الفلسفي للقرن العشرين و بحوث فلسفية أخرى ، منشأة المعارف جلال حزي و شركاه ، 2002 .

2. أفاية محمد نور الدين ، الحداثة و التواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة ، نموذج هابرماس ، الطبعة الثانية ، إفريقيا الشرق ، 1998 .

3. الحفار سعيد محمد ،البيولوجيا ومصير الإنسان ، عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت 1984.

4. الشيخ محمد ، ياسر الطائي ، مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة ، دار الطليعة ، بيروت ، 1996

5. باتيفول هنري ؛فلسفة القانون؛ ترجمة ؛ سموحي فوق العادة؛ منشورات عويدت؛ لبنان؛الطبعة الأولى؛ 1972.

6. بن القاسم أبو العباس أحمد ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق : نزار رضا ، بيروت ، مكتبة دار الحياة .

7. بسطاويسي رمضان محمد ، علم الجمال لدى مدرسة فرانكفورت ، أدورنو نمودجا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى 1998.

8. بوبر كارل ، منطق البحث العلمي ، ترجمة : محمد البغدادي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت .الطبعة الأولى 2006 . ص 527 .

9. بوتومور توم ، مدرسة فرانكفورت ، ترجمة : سعد هجرس دار أوبا ، طرابلس ، ليبيا ، ط1 ، 1998 .

10. بودو بيار ، نيتشه مفتتا، ترجمة،اسامة الحاج:المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع،بيروت،لبنان،،ط1، 1996 ،

11. بومنير كمال ، قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت ، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى 2012 .

12. دليل محمد بوزيان وآخرون ، اللغة والمعنى ، منشورات الإختلاف ، ط 1 2010.

13. دوكنز ريتشارد ، العلم والحقيقة ، ترجمة مصطفى أبراهيم فهمي ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ، الطبعة الأولى 2005.

14. ديكارت رينيه ، مقالة عن المنهج ،، ترجمة : محمود محمد الحضيري ، الطبعة الثالثة بالهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1985.

15. ديكارت رنيه ، مقالة في الطريقة ، ترجمة : جميل صليبا ، موفم للنشر ، (د د ط) ، سنة 1991 .

16. ديورانت ول ، قصة الفلسفة ، ترجمة :فتح الله محمد المشعشع ، دار المعارف ، بيروت ، ط6 ، 1988 .

17. راسل برتراند ، اثر العلم في المجتمع ،ترجمة،صباح صديق الدملوجي المنظمة العربية للترجمة،بيروتلبنان ،ط الأولى 2008 .

18. راشد رشدي ، موسوعة تاريخ العلوم العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ج3 .

19. ريفكن جيريمي ، قرن التقنية الحيوية ، ترجمة مركز الإمارات للدراسات الإستراتيجية ، ط1 ، 1999 .

20. سبيلا محمد ، عبد السلام بن عبد العالي ، العقلانية وانتقاداتها دفاتر فلسفية ، نصوص مختارة ، دارتوبقال للنشر ، الطبعة الأولى ، 2004 .

21. سبيلا محمد و عبد السلام بن عبد العالي . الفلسفة الحديثة نصوص مختارة ، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب الطبعة الثانية ، 2010 .

22. ستيفن روز وآخرون ، علم الأحياء والإديولوجيا والطبيعة البشرية ، ترجمة مصطفى ابراهيم فهمي ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب ، الكويت .

23. سليتر فيل ، مدرسة فرانكفورت نشأتها ومقرها ، وجهة نظر ماركسية ، ترجمة خليل كلفت ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، الطبعة الثانية 2004 .

24. سيدو : تاريخ العرب العام ص 382 ترجمة عادل زعيتر ط2 سنة 1389 هـ.

25. شوقي الزين محمد ، الإزاحة والإحتمال ، منشورات الإختلاف ، الطبعة الأولى 2008 .

26. عطية أحمد عبد الحليم ، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1988 .

27. كابان فيليب وجان فرانسوا دورتيه ، علم الإجتماع ، من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية ، ترجمة إياس حسن ، دار الفرقد ، سوريا 2010 .

28. كانغيلام جورج ،دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها, ترجمة,محمد بن سلسي ،المنظمة العربية للترجمة,بيروت,لبنان ,ط 1 2007.

29. ليونتين ريتشارد ، حلم الجينوم وأوهام أخرى ، ترجمة ، أحمد مستجير و فاطمة نصر ، المنظمة العربية للترجمة بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2003.

30. مجموعة باحثين،الفلسفة و الافكار الحديثة، المكتب العالمي للبحوث،،بيروت للطبلعة و النشر،لبنان،1983.

31. مجموعة باحثين,الانسان و العلم و الطب ،المكتب العالمي للبحوث ,بيروت ,1983.

32. مجموعة باحثين ، علم الإجتماع والوراثة ، المكتب العالمي للبحوث ، بيروت للطباعة والنشر 1983.

33. مجموعة من المؤلفين ، الفلسفة و النسوية ،الأكادمين العرب.

34. مجموعة مؤلفين ،يورغن هابرماس ،العقلانية التواصلية في ظل الرهان الاتيقي،في نقد العلموي و الديني و السياسي ،ابن النديم للنشر و التوزيع ، الجزائر ،ط،20131

35. مهنانة اسماعيل ، الوجود والحداثة ، هيدغر في مناظرة العقل الحديث ،منشورات الإختلاف الجزائر ، الطبعة الأولى 2012 .

36. مونتيبيلو بيير ، نيتشه وارادة القوة ، ترجمة ، جمال مفرج ، منشورات الإختلاف ، ط 1 ، 2010 .

37. هوركهايمر ماكس ، ثيودور أدورنو ، جدل التنوير (شذرات فلسفية) ترجمة جورج كتورة ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، الطبعة الأولى ، 2006

38. هونكه زيغريد ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة : فاروق بيضون ، كمال دسوقي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، د.ذ. الطبعة ، د.ذ.سنة .

قائمة المراجع باللغة الأجنبية :

1. Alain , Idées , introduction a la philosophie , Flammarion . paris 2000.
2. Chamouton Chloé , découvrir la philosophie ,QI édition ,Espagne 2010.
3. champagne Patrick, Oliver Christin , pierre Bourdieu , mouvements d'une pensée , Bordas , paris 2004.

4. Dagognet François . L'homme maitre de la vie. Edition Bordas , Paris , 2003.

5. Foucault Michel, Dits et écrites , paris , Gallimard , 1994

6. Genevieve Rodis_Lewis ,Descartes et le rationalisme ,edition Delta Presses universitaires de France , sixième édition 1996 P 19 .

7. Georges Canguilhem , Notes sur la situation faite en France a la philosophie biologique.

8. Pascale , , Dupond , Laurent Cournarie .Phénoménologie un siècle de philosophie , Ellipses 2003.

9. . Pierre Aubenque , Phisis ,encyclopédie universalis

10. Thomas MCcorthy : The critical theory of Jurggen habermas , The mit press, Cambridge, Mas ssachettes, And London , England .

11. sénéchal David ,Histoire des sciences , université de Sherbrooke , faculté des sciences,décembre 2004.

12. Jean ;marevaysse,inconscient etphilosophie,bordas,paris, 2004.

قائمة القواميس والمعاجم :

1. لالاند أندريه ، موسوعة لالاند الفلسفية ، ترجمة خليل أحمد خليل ، المجلد الأول ، منشورات عويدات بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ، 2011 .

2. Dominique Lecourt , (sous la direction) . Dictionnaire de la pensé médicale. Puf 2004.

3. Jaffro Laurent et la brune Monique , Gradus philosophique, Flammarion , paris 1994 .

4. un nombre des chercheurs , le grand atlas , la philosophie des présocratiques a Jean –Paule sartre , édition Atlas ,Madrid 2006.

5. Zarader Pierre–jean, le vocabulaire desphilosophes, Ellipses , paris 2002.

الرسائل الجامعية :

1. Alexandre Dupeyrix,La conception de la citoyenneté chez Jurgen habermas,thése de doctorat soutenue le 05 /12/2005,,univ,lyon 02-lumiére .

المجلات و الدوريات والمواقع الإلكترونية :

1. البيطاط يحيى ،" النانوأو صولجان الساحر الجديد " ، مجلة دبي الثقافية ، العدد 67 ديسمبر 2010.

2. الإسكندراني محمد شريف ، تكنولوجيا النانو لخدمة الطب التعويضي ، العربي العلمي ، العدد 21 سبتمبر2013 ، ص 21 .

3. بونعمان سلمان ، إمانوال والرستاين ، علم الإجتماع الغربي مساءلة ومحاكمة ، مجلة إضافات ، ع 16 ، 2011 ، مركز الدراسات الوحدة العربية لبنان ، ص ص 178 – 179 .

4. تويلييه بيار : أصول الثورة البيولوجية المعاصرة ، تعريب : عبد القادر بلقناديل ، المجلة الفلسفية الجزائرية ، جامعة وهران ، ع1 ، 1997.

5. عطية عبود طلعت ،الفلاسفة الثلاثة،مجلة العربي،ع 638،يناير 2012 .

6. غيطاس جمال ، كلمة سر تكنولوجيا المستقبل " التغلغل" ، مجلة العربي العلمي ، العدد 9 سبتمبر 2012 .

7. كاني لوبلان ، لقاءات الغيرية عند هيدغر الثاني ، ترجمة عاشور فني ، مجلة أيس.

8. مزاحم هيثم ، قواعد لغة الحاضارت للمؤرخ الفرنسي فرنارد بروديل ، مجلة التفاهم ، العدد 32 ، بيروت 2011 .

9. Erik Brqznm , The Dilemmas of German Bioetics ,the new Atlantis , A journale of Techenology and Society , 2004 .
10. Gérard Huber ,La bioéthique Utopie , religion , internationale , http//: www. GérardHuber. Fr , 08-06 -2012 .23: 16h

11. www.wikipedia.org. **2013/03/16 – 29: 19**

ثبت المصطلحات

المصطلحات

Fertilization	إخصاب
Bioethics	الأخلاقيات البيولوجية
Mechanisme	آلية
Anthropology	انتروبولوجيا
Enzyme	إنزيم
Ape-man	الإنسان القرد
Insulin	إنسولين
Ontology	أنطولوجي
ideology	إيديولوجيا
Coloning	استنساخ
Selection	انتخاب
Natural selection	انتخاب طبيعي
Protein	بروتين
Garden peas	البسلة (البازلاء)
Bacterium	بكتيرة (بكتيريا)
Biology	بيولوجيا
Neurobiology	بيولوجيا الأعصاب
molecular biology	بيولوجيا جزيئية
Neurobiologists	بيولوجيو الأعصاب
transfomation	تحول
Metamorphoses	تحوّل
Translation	ترجمة
genorype	تركيب وراثي
Evolution	تطوّر
Reproduction	تكاثر
Adaptation	تكيّف
Quantum mechanical revolution	ثورة ميكانيكا الكم
Molecules	جزيئات
Molecular	جزيئي
Antibody	جسم مضاد
Embryo	جنين
Genome	جينوم
Genomics	جينوميا
Determination	حتمية

المصطلحات

Germ cells	خلايا جرثومية
Darwinism	داروينية
DNA	د .ن . ا
Intelligence	ذكاء
behaviour	سلوك
Mutation	طفرة
Random	عشوائي
Genetics	علم الوراثة
Physics	فيزياء
Organism	كائن حي
I.Q	معامل الذكاء (م . ذ)
Hybrid	هجين
Genetic engineering	هندسة وراثية
Heredity	وراثة
geneticist	وراثي

فهرس الأعلام

- أ

ابن بطلان : ص 23 .
ابن دينار : ص 23 .
ابن سينا : ص 21 ، 24 .
ابن كلس : ص 15 .
ابن النديم : ص 19 .
أبيقراط : ص 09 ، 14 ، 15 ،25 ، 29 ، 30 ، 18 .
أدرسون (ديبلو) : ص 34 .
أدورنو (ثيودور): ص 28 ، 127.
أريسطو : 11 ، 15، 16 ،17 ، 116.
أفلاطون : ص 14، 135 .
التميمي (محمد بن سعيد) : ص 22 .
الإخديشي (عبد الله) : ص 22 .
الدمشقي عثمان : ص 23 .
الرازي : ص 21 ، 24 .
الرهوي (إسحاق بن علي) : ص 25
السوفسطائيون : ص 134 .
الإسكندر : ص 17 ، 11 .
المأمون : ص 12 .
المجوسي : ص 24 .
أمبادوقليدس : ص 16 .
أمحوتب : ص 10 .
أنكساغوراس : ص 10 .

إيطال (ميلر): ص 60.

- ب

بختيشوع : ص 19 .

برنارد (كلود): ص 18 ، 19 ، 20 .

برومتيوس : ص 56 .

باشلار : ص 33، 35 .

بن القاسم (أبو عباس أحمد) : ص 15 .

بن حنين (إسحاق) : ص 19 .

بن جامين (والتر) : ص 28 .

بوانكريه : ص 33 .

بوبر : 134 .

بيردي : ص 55 .

بيشر : ص 39 .

- ت

توماسيوس : ص 38 .

تيتاتوس : 133 .

تونق : ص 55 .

- ج

جاكوب (فرانسوا): ص 92 .

جالينوس : ص 19 ، 24 ، 14 ، 15 .

جوزر : ص 06 .

جوناس هانس : 102 .

- ح

حمورابي : ص 12 .

- د

داروين : ص 27 ، 41 ، 54، 110 .

داغوني فرانسوا : ص 35 ، 115 .

دافي همفري : ص 63 .

دوركايم : ص 63 .

دولوز : ص 90 .

دوكنز : ص 104 .

دومينيك (لوكورت): ص 100 .

ديكارت : ص 36 ، 24 ، 109 ، 130 ، 145 .

ديمقريطس : ص 11 .

- ر

راسل (برتراند) : 51 ، 101.

راو (جوهانس) : ص 50 .

ريتشارد (ليونتين) : ص 56 ، 83 .

رينر (فورست) : ص 115 .

- ز

زيمل (جورج): ص 52 .

- س

سارتر: 34 .

سبينوزا : ص 113 .

سقراط 133 .

سلوتردايك : ص 40 ، 46 ، 47 ، 115 ، .

- ش

شاروينوآل : ص 52 .

شيلي (ماري) : ص 57 .

- غ

غاليلي : ص 20 ، 48 .

- ف

فتجشتين : ص 126 .
فرنكشطاين : ص 44 ، 87.
فروم (إريك) : ص 28 .
فرويد : ص 42 .
فوكوميشال : ص 33 .
فوكوياما (فرنسيس) : ص 84 ، 115 .
فيبر(ماكس) : ص 28 ، 109.
فيري (لوك): ص 48 .

- ك

كاباني : ص 30 ، 20 .
كانط : 25 ، 42، 108 .
كانغيلهم : ص 31 ، 34 ، 35 .
كومت (أوغست): ص 28 .

- ل

ليفيناس : ص 47 .
ليون كاس : ص 98 .

- م

ماركس : ص 42 ، 42 ، 121.
مركيوز (هربرت) : ص 28 ، 110.
مورغاني : ص 29 .
محمد صلى الله عليه وسلم : ص 17، 18 .
مندل : 17 .
مونود (جاك) : ص 86 .

ميرلوبونتي : ص 34 .

- ن

نيتشه : 108 ،109 .

- ه

هابرماس : ص 40 ، 41 ، 42 ،43 ، 44 ، 45 ،46، 47 ، 55 ، 60 ، 62 ، 64 ، 82 ،84 ، 86 ، 89 ، 90 ، 94 ، ، 95 ، 96 ، ، 100، 104،109 ، 107 ، 108 ،109 ، 110 ، 112، 114، 115 ، 116 ، 117 ، 120 ،121 ، 122.

هانس (جوناس) : ص 118.

هتلر : ص 48 .

هكسلي(ألدوس) : ص55.

هوبر(جيرار) : ص 99 .

هوركهايمر : ص 27 ، 127.

هوسرل : ص 20 ، 113 .

هولمس : ص 46 .

هيجل : ص 42 ،129.

هيدغر : ص 46 ، 47 ، 112، 118 ، 130 ، 135، 137، 143 ، 144 .

- و

واطسون : ص 58 .

وولدمان : ص 57 .

وونغ : ص 59.

- ي

ياسبيرز(كارل) : ص 32 .

يوهنسون : ص 33 .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

كلمة شكر

إهداء

مقدمة عامة

الفصل الأول : التقنيات والأخلاق الطبية ومختلف الرؤى حولها

أولا : التقنيات والأخلاق الطبية عبر العصور.....09

أ – التقنيات والأخلاق الطبية في الحضارة اليونانية 09-17

ب- التقنيات والأخلاق الطبية ومظاهر ازدهرها عند المسلمين 17-26

ج-التقنيات والأخلاق الطبية في العصر الحديث 26-30

ثانيا : مختلف الرؤى الطبية في عصرنا 31

أ -جورج كانغلهم نحو طب معياري 31-34

ب -فرانسوا داغوني ، نحو ابيستيمولوجيا خاصة بالطب ..... 35 - 40

ج- النقاش حول حقوق ملكية الحياة بين هابرماس وسلوتردايك 40- 56

الفصل الثاني : رهانات مستقبل الطبيعة الإنسانية ، النظرية التواصلية في مواجهة اليوجينيا والولادة المبرمجة والإستنساخ

أولا: تقنيات الهندسة الوراثية الجديدة

.....58

أ - تقنية التخصيب الإصطناعي .....61 -62

ب - عمليات الزرع بالأنبوب ..... 62 - 62

ج- تشخيص الجنين 62-63

د - إمكانية تأجير وكراء بطون حوامل 63- 63

ه- إستعمال تقنية الأرحام الإصطناعية محل الأرحام الطبيعية .....64 -64